متطلبات وضوابط مفسري القرآن الكريم

إعداد

د. شكران سعيد سعد العرفي

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز بجدة

المملكة العربية السعودية

متطلبات وضوابط مفسري القرآن الكريم

شكران سعيد سعد العرفي
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبد العزيز بجدة- المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: Shuk.ran@hotmail.com

الملخص:

هدف البحث التعرف على متطلبات وضوابط مفسري القرآن الكريم، واستخدم المنهج الاستنباطي، وجاء مكوناً من المقدمة التي شملت التمهيد للبحث وبيان مشكلته وأسئلته وأهدافه وأهميته ومنهجه وعرض بعض الدراسات السابقة ذات الصلة به، ثم خمسة مباحث وعدة مطالب على النحو التالي: جاء المبحث الأول بعنوان: الإطار المفاهيمي لتفسير القرآن الكريم، وتكون من مطلبين، جاء المطلب الأول عن: مفهوم التفسير لغة، وجاء المطلب الثاني عن معنى التفسير في الاصطلاح، بينما كان المبحث الثاني بعنوان: مناهج وطرق التفسير، وتكون من أربعة مطالب على النحو التالي: المطلب الأول: التفسير بالمأثور وما له وما عليه، المطلب الثاني: التفسير بالرأي وما له وما عليه، المطلب الثالث: تفسير الفرق الإسلامية المختلفة وما له وما عليه، المطلب الرابع: كتب التفسير الخاصة، وجاء المبحث الثالث بعنوان: المهارات والعلوم التي يحتاجها المفسر للقرآن الكريم، وتكون من خمسة مطالب على النحو التالي: المطلب الأول: المهارات المتطلبة للتفسير العلمي للقرآن الكريم، المطلب الثاني: الأصول التي يرجع إليها في تفسير القرآن الكريم، المطلب الثالث: العلوم التي يحتاج إليها المفسر، المطلب الرابع: ضوابط تدريب المفسرين، المطلب الخامس: خصائص شخصية المفسر، وجاء المبحث الرابع بعنوان: ضوابط ومتطلبات الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم، وتكون من أربعة مطالب على النحو التالي: المطلب الأول: مفهوم الضوابط، المطلب الثاني: الضوابط التي على المفسر مراعاتها في عملية التفسير، المطلب الثالث: الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر، المطلب الرابع: ضوابط الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم، ثم جاء المبحث الخامس والأخير بعنوان: كيفية الوقوف على تفسير سورة من القرآن مع تطبيق عملي لخطوات التفسير وما ينبغي على المفسر مراعاته في كل منها، ثم خاتمة البحث وما اشتملت عليه من أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: الضوابط – المتطلبات – التفسير – المفسر.

Requirements and controls for the interpreters of the Holy Quran

Shukran Saeed Saad Al-Orfi
Department of Sharia and Islamic Studies - College of Arts and Humanities - King Abdul Aziz University in Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia
Email: Shuk.ran@hotmail.com

Abstract:

Requirements and controls for the interpreters of the Holy Quran

The aim of the research is to identify the requirements and regulations of the interpreters of the Noble Qur'an, and use the deductive approach, and it came as a component of the introduction that included the introduction to the research, the explanation of its problem, its questions, its objectives, its importance and its approach, and the presentation of some previous studies related to it, then five investigations and several demands as follows: The conceptual framework for the interpretation of the Noble Qur'an, and it consisted of two requirements. The first requirement came about: the concept of exegesis as a language, and the second requirement came about the meaning of interpretation in the term, while the second topic was entitled: Methods and methods of interpretation, and it consisted of four demands as follows: The first requirement: interpretation In the tradition and what it has and what it is, the second requirement: interpretation by opinion and its and what it is, the third requirement: the interpretation of the different Islamic sects and their and what they have, the fourth requirement: books of interpretation, and the third topic came under the title: skills and sciences that the interpreter needs for the Holy Qur'an, and it consists of Five demands are as follows: The first requirement: the skills required for the scientific interpretation of the Holy Qur'an, the second requirement: the principles to which he refers in the interpretation of the Noble Qur'an, the third requirement: the sciences that the interpreter needs, a The fourth requirement: Controls for training commentators, the fifth requirement: Characteristics of the interpreter's personality. The fourth topic came under the title: Guidelines and requirements for ijtihad in the interpretation of the Noble Qur'an, and it consisted of four demands as follows: The first requirement: the concept of controls, the second requirement: the controls that the interpreter must observe in The process of interpretation, the third requirement: the conditions that the scholars stipulate in the exegete, the fourth requirement: the controls of ijtihad in the interpretation of the Noble Qur'an, then came the fifth and final topic entitled: How to stand on the interpretation of a surah of the Qur'an with a practical application of the steps of interpretation and what the interpreter should take into account in each of them Then, the conclusion of the research and the most prominent results, recommendations and proposals included in it.

Key words: controls - requirements - interpretation - interpreter.

المقدمة:

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالقرآن الكريم وعلومه، وتفسيره وإعجازه، وتوسعوا في دراساته وبحوثه، وكانت تلك الموضوعات جميعها تصب في خدمة القرآن الكريم، فضلاً عن المساهمة بهذه الجهود التي من شأنها أن تخرج الكنوز العلمية من المحتوى القرآني بين دفتي المصحف الشريف.

والقرآنُ الكريم كلامُ ربِّ العالمين نزل به خيرُ الملائكة جبريلُ عليه السلام على خير الرُّسُل في أشرف البِقاع، وفي خير شهرٍ، وفي خير الليالي ليلة القدر، لخير أمةٍ أخرجت للناس، بأفضل لغةٍ وأجمعها، فأخرجهم به من الظلمات إلى النور، ومن رجس الجاهلية إلى طهارة الإسلام.

حفِظَه الله ﷻ قبل إنزاله، قال تعالى: (بل هو قرآن مجيد. في لو محفوظ)[1]. وصانَه من الشياطين وقت نزوله، قال تعالى: (وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون) [2]. وتكفَّل بحفظِه بعد نزوله، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [3]. كتابٌ تعلُمُه خيرٌ من أموال الدنيا فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه [4] قَالَ: ((خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَنَحْنُ

(١) سورة البروج، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٠-٢١١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٤) الصحابي الجليل عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه: هو عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، كان رديف النبي ﷺ، كان شجاعًا، فقيهًا، شاعرًا، قارئًا، من الرماة، وشهد صفين مع معاوية رضي الله عنه، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وولي مصر سنة ٤٤ هـ، وعزل عنها سنة ٤٧هـ، وولي غزو البحر، ومات بمصر سنة: ٥٨هـ. ينظر: يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، (الأردن- عمان: دار الأعلام، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م)، ص: ٥٦١-٥٦٢ رقم (١٨٩٨)؛ علي بن محمد بن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج: ٤، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م)ص: ٥١-٥٣، رقم (٣٧١١)؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج: ٤، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت - لبنان: دار الجيل، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م) ص: ٥٢٠، رقم (٥٦٠٥).

فِي الصُّفَّةِ [١]، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ [٢] أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ[٣] فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ[٤]، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذلكَ. قَالَ: أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ)) [٥].

ومجالسُه ومواطِنُ تعلُّمه مظانُّ تَنَزُّل السكينة والرحمة على مُعلِّميها والمُتعلِّمين، قال ﷺ: ((... ما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ

(١) أهل الصفة: هم فُقَرَاء المُهاجرين ومن لم يَكُن له مِنْهم مَنْزل يَسْكُنه فكَانُوا يَأوُون إلى الصفة وهو مَوضِع مُظَلَّل في مَسْجِد المَدِينة.ينظر: المبارك بن محمد الجزري أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج: ٣، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي)، ص: ٧٠؛ ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج: ٣، (دار الفكر – بيروت)، ص: ٤١٤؛ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج: ٩، (بيروت- لبنان: دار صادر)، ص: ١٩٤.

(٢) بَطحان: بفتح الباء اسم وادِي المدينة، والبَطْحانيُّون منْسُوبون إليه وأكثرهم يَضمون الباء ولعله الأصح قاله ابن الأثير. وأصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى. ينظر: أبو السعادات، مرجع سابق، ٣٤٨/١؛ الحموي، مرجع سابق، ٤٤٦/١؛ ابن منظور، مرجع سابق، ٤١٢/٢.

(٣) العَقِيق: بفتح أوله وكسر ثانيه وقافين بينهما ياء مثناة من تحت، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق، وفي بلاد العرب أربعة أعقة وهي أودية عادية شقتها السيول، ومنها: عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل، وهو الوارد ذكره في الحديث هنا وهو وَادٍ من أودية المدينة مَسيلٌ للماء وهو الذي وَرَدَ ذكره في الحديث أنه وَادٍ مُبارَك. ينظر: الحموي، مرجع سابق، ١٣٨/٤-١٣٩؛ ابن منظور، مرجع سابق،٢٥٥/١٠.

(٤) كَوْمَاوَيْن: مأخوذٌ من الفعل (كوم)، والكَوَمُ: العِظَم في كل شيء، وقد غلَب على السَّنام، يقال: سَنام أَكْوَمُ، أيّ: عَظيم، وناقة كَوْماء، أيّ: عَظيمة السَّنام، طويلته، فالكَوَمُ هنا أيّ: عِظَم في السنام وعلو فيه، وكوماوين قُلِبت فيها الهمزة في التَّثْنية واوًا. ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج: ٣، ط: ٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت – لبنان: دار المعرفة)، ابن منظور، مرجع سابق، ٥٢٩/١٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ح رقم (٨٠٣)، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ص: ١٩١-١٩٢، بلفظه. ينظر: مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م).

اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ...)) (١).

"وكتاب الله تعالى: أشرف ما صرفت إليه الهمم، وأعظم ما جال فيه فكر، ومد به قلم؛ لأنه منبع كل علم وحكمة، ومربع كل هدى ورحمة، وهو أجل ما تنسك به المتنسكون، وأقوى ما تمسك به المتمسكون، من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين، ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم، وهُدي إلى صراط مستقيم" (٢). كما إن علم تفسير القرآن، من أشرف العلوم قدراً، وأسماها منزلة، وأعظمها نفعاً، وإنما يشرف الشيء بشرف موضوعه، ونبل غايته.

وتفسير القرآن واجب إيماني، وتكليف شرعي يخدم كتاب الله، وللتفسير مناهجه وألوانه الكثيرة والمتعددة، وإن التوافق بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية هو لون من ألوان التفسير القرآني، وهو دليل قاطع على الوحي والنبوة وأن القرآن كلام الله ومن عنده وهو سبيل لهداية الذين لا يتكلمون العربية، ولا يدركون ذلك الوجه اللُغوي في القرآن الكريم(٣).

اشتغل التابعون بعلم التفسير، فاستفرغ جهدهم، فكانوا يسألون عن تفسير القرآن آية آية، ليوضحوا معناه، ويبينوا مجمله، علموا تفسيره وأسباب نزوله، وفضائله وأمثاله، وغريبه ومعربه، وبينوا محكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، وعمومه من خصوصه.

---

(١) جزء من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، ح رقم (٢٦٩٩)، في كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ على تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، ص: ٦٨٤، بلفظه، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) ابن القيم: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ص ٥.

(٣) ابن حمدان عبد السلام اللواح: التفسير العلمي بين القبول والرد عرض ودراسة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٥م، ص٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله" وكان من أعظم ما أنعم الله عليهم، اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات، أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم" (١).

ثم جاء من بعدهم اتباع التابعين، تتلمذوا على أيديهم، وورثوا علمهم، وقفوا على آثارهم، واستقوا من أصلهم، من المورد الزلال، والنبع الصافي، فالتقطوا فوائدهم، واصطادوا فرائدهم، وقيدو شواردهم. وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات، وهو أجلُّ العلوم الثلاثة الشرعية، فهو مقدم على علمي الفقه والحديث.

لأجل هذا اعتنى الصحابة والتابعون بتفسير القرآن العظيم، فهذا مقرئ الكوفة أبو عبد الرحمن السُّلمي (عبد الله بن حبيب،ت:٧٣ هـ) قال: " إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به"(٢).

ومن هنا حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم كتاب الله، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ في أعيننا، يعني عظم"(٣). والمقصود هنا القراءة مع العلم

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الله الحراني: مجموع الفتاوى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م، ج١٣، ص٢٨، ٢٩.

(٢) ابن حمدان عبد السلام اللواح: التفسير العلمي بين القبول والرد عرض ودراسة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٥م، ص٢.

(٣) الإمام الحافظ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ج١، ص٥٧٧.

بالتفسير، وكذلك حرص التابعون على تفسير القرآن وفهم معانيه. قال الشعبي: " رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها"(١).

وتعلم التفسير واجب لقوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٢) ولقوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (٣). وجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك؛ أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها، والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك، فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه. ووجه الدلالة من الآية الثانية أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم، وعدم وصول الخير إليها.

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه؛ لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به فإن العمل بما لا يعرف معناه غير ممكن.

ومعلوم أن لغة اليوم هي لغة العلم والكشف والاختراع، فهي الأساس والمعتمد والمحور الرئيس للتفاهم وتبادل الآراء، وقد نالت هذه اللغة الصدارة في معظم الميادين والأصعدة، وقد أثبتت جدارتها وأصالتها في الوصول إلى الأهداف والغايات التي يصبو إليها كل طموح مقدام.

والتفسير العلمي هو أحد فروع هذه اللغة النابعة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي لغةٌ عامة لكل من طرق

(١) عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م، ج١، ص١١.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

أبواب العلم والمعرفة، ليدرك الجميع ذلك الدليل القاطع الذي يُثبت بلا شك ولا ريب أن القرآن كلام الله ومن عند الله ويستحيل على الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، قال تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..."(١).

وهذه والحقيقة يقرُّ بها كلُّ عاقل حكيم لا يركن إلى إفراط أو تفريطٍ، ومع ذلك فقد وُجد مَن أنكر هذا الأمر ولعل ذلك نتيجةً لإفراط المسرفين الذين تجاوزوا الحد المعقول في الميل إلى التفسير العلمي القرآني فكانت ردة الفعل المعاكسة المتمثلة في موقف المنكرين.

والمفسر الذي يُرْتَجي في هذا العصر ينبغي أن ينتقي من بين أفضل العناصر البشرية، بأن يتصف بصفات معينة تجعله مفسراً على مستوى متميز، كما ينبغي أن يكون مؤهلاً للقيام بمهام التفسير حتى يتمكن من القيام بالأدوار المرتبطة بهذه المهمة السامية، وأن تتوفر لديه الكفاءات والمهارات اللازمة حتى يكون فعالاً في مجال الدعوة مؤثراً في جمهوره بالدرجة التي يحقق معها أهداف اشتغاله بالتفسير(٢).

ويتوقف نجاح المفسر على ما يتمتع به من كفاءة عالية في مختلف المجالات التي تتطلبها عملية التفسير مع الاستعداد التام لأداء رسالته وتتوقف هذه الكفاءة على مدى ما يمتلكه المفسر من معلومات وقدرات علمية وثقافية واجتماعية تساعد علي القيام بأعباء التفسير(٣)، وقد حظي موضوع الكفاءات باهتمام كبي رمن قبل الباحثين إيماناً منهم بأهمية هذه الكفاءات،

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) عبد العليم محمد شرف.(٢٠٠٤). مستويات تقدير الدعاة لفعالية الثقافة العلمية والتكنولوجية لتطوير الخطاب الديني وسلوكياتهم نحوهما. مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع١٢٤، ج١، ٢٠٠٤م، ص ٥١.

(٣) محمد عبد الرازق إبراهيم: الكفاية الداخلية لمعاهد إعداد الدعاة بجمهورية مصر العربية "دراسة تقويمية". رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٦م، ص٤٤.

ومع ذلك لم يحظ هذا الموضوع باهتمام لدى المفسرين، مع أنه ينبغي أن تتوفي فيهم كفاءات متنوعة تمكنهم من النجاح في عملية التفسير وتحقيق أهدافها المنشودة(١).

والمفسر عليه أن يتحلى بالعلم، وأن يعرف ضوابط عملية التفسير، وأسباب قبولها، وكذلك معرفة حال المتلقي، والمكان والزمان المناسب للتفسير(٢)، ولذلك ينبغي عليه أن يستخدم الأدلة والبراهين المقنعة، وألا يَصدمَ من أمامه بتفسيره، بل يستعير لتفسيره خفة البيان والأسلوب الجميل الممتع الذي يجد قبولاً في نفس المتلقي(٣).

قضية البحث ومشكلته:

في ضوء ما سبق تتحدد قضية البحث في أهمية تناول الضوابط والمتطلبات التي من الأهمية مراعاتها في عملية التفسير، والتي من الأهمية توافرها في مفسر القرآن الكريم وعليه مراعاتها خاصة في هذا الوقت الذي كثرة فيه التحديات والمتغيرات التي تتطلب العناية بكتاب الله وتوافر شروط وضوابط معينة لم يشتغل بتفسيره.

أسئلة البحث:

سعى البحث للإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما أبرز متطلبات وضوابط مفسري القرآن الكريم؟ وتفرع عنه الأسئلة التالية:

١. ما المقصود بتفسير القرآن الكريم؟

---

(١) محمد مصطفي الديب، وشعبان عبد القادر غزالة: دراسة الكفاءات اللازمة توافرها لدي الدعاة من ذوي خبرات مهنية مختلفة. مجلة كلية التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، ع ٨٨، ٢٠٠٠م، ص٣١.

(٢) محمد بن صالح عثيمين: شرح رياض الصالحين، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص٧٩.

(٣) انظر: محمد متولي الشعراوي. (١٩٩٠). المعجزة الكبرى" الإسراء والمعراج". مكتبة متولي الشعراوي الإسلامية، القاهرة، مؤسسة أخبار اليوم، ص١٠.

-فايق عبد الرءوف رمضان.(١٩٩٩). الخصائص النفسية اللازمة لنجاح الداعية الإسلامي في ميدان الدعوة. رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ص ص ٤٤ – ٤٥.

٢. ما أبرز مناهج وطرق التفسير وما لها وما عليها؟
٣. ما أبرز المهارات والعلوم التي يحتاجها المفسر للقرآن الكريم والأصول التي يرجع إليها في تفسيره؟
٤. ما أبرز خصائص شخصية المفسر للقرآن الكريم والضوابط المتطلبة لتدريبه؟
٥. ما أبرز ضوابط ومتطلبات الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

هدف البحث التعرف على أبرز متطلبات وضوابط مفسري القرآن الكريم، وذلك من خلال التعرف على ما يلي:

١. المقصود بتفسير القرآن الكريم.
٢. أبرز مناهج وطرق التفسير وما لها وما عليها.
٣. أبرز المهارات والعلوم التي يحتاجها المفسر للقرآن الكريم والأصول التي يرجع إليها في تفسيره.
٤. أبرز خصائص شخصية المفسر للقرآن الكريم والضوابط المتطلبة لتدريبه.
٥. أبرز ضوابط ومتطلبات الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم.

أهمية ومبررات البحث:

تبرز أهمية البحث ومبرراته من خلال عدة نقاط يمكن إيجازها على النحو التالي:

١. شرف الموضوع من شرف ما يتناوله وهو كتاب الله عز وجل أشرف الكتب وأقدسها.
٢. تزايد التحديات والمتغيرات التي تتطلب مزيداً من العناية بكتاب الله سبحانه وتعالى تفسيراً ودراسة ودفعاً للشبهات.
٣. اشتغال البعض بالتفسير دون توافر المتطلبات والمؤهلات التي تؤهلهم لذلك.

٤. يمكن لنتائج البحث أن تفيد مؤسسات تأهيل وإعداد مفسري القرآن الكريم بما تقدمه من متطلبات وضوابط من الأهمية مراعاتها في تأهيل وإعداد مفسري القرآن الكريم.
٥. يمكن أن لنتائج البحث تفيد مفسري القرآن الكريم من خلال تحديدها الضوابط والمتطلبات التي عليهم مراعاتها في تفسيرهم لكتاب الله عز وجل.

منهج البحث:

استخدم المنهج البحث الاستنباطي وذلك بالرجوع للمصادر الأصلية للتربية الإسلامية واستنباط ما بها من مضامين وضوابط خاصة بمفسري القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

١.دراسة شاهة العنزي (٢٠١٨) [١]: هدفت تناول البحث الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢ه (دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)، وتكون من مقدمة ومبحثين، شملت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة، بينما جاء المبحث الأول للتعريف بصاحب الكتاب من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، وفضله وثناء العلماء عليه، وأبرز مصنفاته، ووفاته، بينما جاء المبحث الثاني عبارة عن دراسة وتحقيق من الآية الأولى وحتى الآية الثلاثين من سورة التوبة، في ضوء الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي

(١) شاهة الطوير معيوف العنزي: الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢ه (دراسة وتحقيق: من أول سورة التوبة إلى الآية ٣٠)، مجلة البحث العلمي، كلية البنات، جامعة عين شمس، العدد التاسع عشر، ٢٠١٨م.

المعروف ببصيلة، ثم اختتم البحث بأبرز النتائج والتوصيات، ومن هذه النتائج ما يلي: ولد الإمام النسفي في بلدة (إيْذَج) بكسر الهمزة وسكون الياء وذال معجمة مفتوحة وجيم، وهي من قرى سمرقند عند الجبل، وهي التي ولد بها، وينسب إليها كثير من العلماء، كان للمحيط البيئي الذي عاش فيه الإمام النسفي أثر كبير في تكوينه العلمي والخلقي، فقد ذكرت كتب التراجم أنه تلقى العلم على أيدي علماء من أهل زمانه، كان لهم كبير الأثر في نمو معرفته وثقافته ونضجه الفكري، للإمام النسفي الكثير من التلاميذ الذين طلبوا العلم على يديه؛ وذلك لسعة علمه، ولكن لم تعن التراجم ببيان هؤلاء التلاميذ- وهم غير قليل-، وقد يرجع ذلك لضعف شهرتهم، أو للاضطرابات السياسية آنذاك، لقد بلغ الإمام النسفي مكانة علمية رفيعة؛ وذلك بجده واجتهاده ومثابرته في تحصيل شتى العلوم والمعارف، إضافة إلى ما وهبه الله تعالى من تقوى وزهد وورع، وهذا واضح في مؤلفاته، التي تدل على علو مكانته العلمية؛ فاشتهر في عصره وبعد عصره، وأثنى العلماء عليه في كل زمان. الإمام النسفي ما تريدي العقيدة ومن أعيانها ومشايخها ومؤيديها، تابع الإمام النسفي أستاذه الكَرْدَري في موافقة أبي حنيفة في الفقه، وصار إماماً من أئمة المذهب الحنفي، وفقيهاً من فقهائه، لسورة التوبة أسماء عشرة: سورة التوبة، وسورة براءة، وهذان الاسمان مشهوران، وهي المقشقشة، قاله ابن عمر – رضي الله عنه- سميت بذلك؛ لأنها تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه، وهي المبعثرة لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها، وهي الفاضحة قاله ابن عباس – رضي الله عنهما- لأنها فضحت المنافقين، وسورة العذاب قاله حذيفة، وهي المخزية لأن فيها خزى المنافقين. وهي المدمدمة سميت بذلك؛ لأن فيها هلاك المنافقين. وهي المشردة سميت بذلك؛ لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم. وهي المثيرة سميت بذلك؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم.

٢.دراسة أبرار (٢٠١٦)[١]: هدفت التعرّف على مصادر التّفسير، وتطورّه، ومناهج المفسّرين، والتمرن على نقدِ التّفسير، والجمع بين أقوال المفسّرين، والتّطبيق العمليّ لمقررات السّنة المنهجيّة، وتوظيف الجهود لإخراج موسوعة تفسيرٍ ذات منهج علميّ رصين. وفكرة البحث: جمعِ التفسيرِ الأثريّ للآيات، والتّفسير بالدّراية، مرتّبًا تاريخيًا بحسب التّرتيب الزّمني بتقديم الأقدم وفاة، مع عدم تكرار النّقول، ودراسة هذا الجمع، وبيان ما تثبت نِسبته إلى قائلِه وما لا تثبت، وما يصِحُّ من عدمِه، والجمع أو التّرجيح في حال الخِلاف، مع الاستفادة من أقوالِ المفسّرين في النّقد والتّرجيح ومراعاة قواعد التّرجيح، وتخريج الأحاديث والآثار وبيان درجتها من حيث الثّبوت وعدمِه، وعدم ذكر الاستطرادات الفقهية، والعقدية، والنّحويّة، والرّوايات الموضوعة، والإسرائيليّات، والتّرجمة للأعلام ترجمةً مختصرة في أوّل موضِع،وقد اشتمل البحث على مقدمة وبابيْن وخاتمة، الباب الأول: الفئة المؤمنة من أهل الكتاب ومصير الكفار والنهي عن الثقة بهم، الآيات (١١٣-١٢٠)، ويشتمل على ثلاثة فصول، الباب الثاني: غزوة أُحُد، والتذكير بغزوة بَدْر، وإرشادات للمؤمنين، الآيات (١٢١-١٣٢)، ويشتمل على أربعة فصول، وكل فصل يشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: التفسير بالرواية، الثاني: التفسير بالدراية، الثالث: التفسير الجُمَلّي، ثمَّ خلصت إلى نتائج من أهمها: عناية علماء الأمّة الإسلاميّة على مدار تاريخها بتفسيرِ كتاب الله ممّا أوجد لنا الكثير من مراجع التّفسير المتنوّعة، وأنّ أغلب أسانيد التّفسير الأثري يعتدُّ بها، وأنّ الخِلاف بين المفسّرين كثير منه اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد.

(١) أبرار سامي صالح بليلة: جامع التفاسير روَاية ودرَاية جمْع ودرَاسة الآيات (١١٣-١٣٢) من سورة آل عمران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠١٦م.

٣.دراسة نورا أحمد إسماعيل حاج محمود (٢٠١٦)[١]: جامع التفاسير رواية ودراية، جمعاً ودراسة". ويُعدُّ جزءا من مشروع بحثي، قُسِّم بين عدد من طلاب وطالبات الدّراسات العليا بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. يُعنى بدراسة التفاسير ابتداء من سورة الفاتحة. وقد تناولت هذه الدراسة الآيات من (١٣٣-١٥٢) من سورة آل عمران رواية ودراية جمعاً ودراسة. وتم التعرّف من خلالها على مصادر التفسير وتطورها، مع الوقوف على مناهج المفسرين وطرائقهم في التأليف. وكذلك التمرس على أقوال المفسرين، وقسمت الدراسة إلى بابين تسبقهما مقدمة، وتتلوهما خاتمة. وقد ذكرت في المقدمة المنهج المتبع في البحث، وهو جمع تفسير الآيات القرآنية في الآثار، ثم التفسير بالدراية، وما يتعلق به. وكان الغرض من ذلك نيل شرف خدمة كتاب الله. وتناول الباب الأول: أجر العاملين وتمحيص المؤمنين [الآيات من(١٣٣-١٤١)]. أما الباب الثاني: التنبيه على مفاتيح النصر وأسباب الهزيمة [الآيات من (١٤٢-١٥٢)]. وقد ضمَّ كلّ باب فصلين، واشتمل كل فصل على مبحثين: مبحث التفسير بالرواية، ومبحث التفسير بالدراية، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: إنَّ سنن الله في خلقه تسير وفق طريق قويم و قواعد ثابتة، تقتضيها الحكمة الإلهية المقررة لمصالح العباد، من سار عليها ظفر ومن حاد عنها خسر. الاهتمام البالغ بالتربية والإعداد لتستحق هذه الأمة بجدارة سيادة البشرية نحو الفلاح. الفهم العميق الواعي لمفهوم الجهاد الذي يتمثل على جميع الأصعدة والمجالات والذي استشكل فهمه عند البعض في عصرنا

(١) نورا أحمد إسماعيل حاج محمود: جامع التفاسير رواية ودراية جمعاً ودراسة الآيات (١٣٣-١٥٢) من سورة آل عمران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ٢٠١٦م.

الحاضر. كما تضمن البحث أبرز التوصيات: الدعوة إلى إتمام هذا المشروع المبارك حتى يرى النور في القريب العاجل.

٤. دراسة علي أسعد (٢٠٠٩) [١]: هدفت إلى بيان إسهام علم من علماء فلسطين في علم التفسير ولاسيّما المرتكزات الأساسية لإصلاح علم التفسير، هذا العَلم هو محمد عزة دروزة مؤلف التفسير الحديث، فخصصت المبحث الأول للتعريف به وبعصره؛ لتجلية أبرز العوامل التي أسهمت في تكوين فكره وآرائه، وجعلت المبحث الثاني مرتكزات إصلاح علم التفسير في التفسير الحديث؛ للكشف عن موقف دروزة من التفاسير السابقة وتشخيصه للثغرات التي تكررت فيها، ولبيان الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره بهدف تجاوز تلك الثغرات، ومن ثم جعلت المبحث الثالث مفهوم المقصد باعتباره أس ومحور الإصلاح لعلم التفسير في التفسير الحديث.

٥. دراسة أبو دف ومنصور (١٤٢٦هـ) [٢] هدفت الدراسة إلى توضيح مقومات الداعية المربّي كما جاءت في القرآن الكريم، ووظّفت الدراسة منهج البحث الوصفي، وتمّ توظيف استمارة تحليل المحتوى، وأظهرت الدراسة أن الدعوة إلى الله –عز وجل– بكل أبعادها تشكّل عنصرًا هامًا ووسيلة فاعلة في تربية الفرد المسلم وحماية الشخصية وتحصينها من عوامل الهدم والإفساد، وكذلك لها دور كبير في بناء المجتمع الفاضل المتماسك، وأن الداعية إلى الله يقوم بمهمة تربوية مكمّلة ومساندة لما يقوم به المعلِّم، وخطابه الموجّه إلى الناس يتضمّن توجيهات تربوية

(١)علي أسعد: إصلاح علم التفسير في التفسير الحديث،دار القدس عاصمة للثقافة العربية، دمشق، ٢٠٠٩م.

(٢) محمود خليل أبو دف؛ ومحمود مصطفى منصور: مقومات الداعية المربّي كما جاءت في القرآن الكريم. مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيّرات العصر. كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية. غزة. ١٤٢٦هـ، في الفترة من ٧–٨ ربيع أول، ص ص ٥٨١ –٦٢٠.

وإرشادات لها دور كبير في توجيه سلوكهم نحو الخير، كما أظهرت الدراسة أنه حتى يكون الداعية المربي فاعلاً ومؤثّراً في المجتمع ينبغي أن تتوافر فيه جملة من المقومات الشخصية والأدائية من أبرزها: التعبد لله -عز وجل-، والتوكّل عليه، والتلطّف مع الناس، والصدق، وسعة الصدر والتفاؤل، وقوة الإدراك، والتصرّف الحسن في القول والعمل، والكفاءة، والقدرة على الاتصال والتخاطب مع الآخرين، وإدارة الحوار، وحُسن التصرّف.

٦.دراسة حمدان عبد السلام اللوح (٢٠٠٥) [١] هدفت تناول لوناً من ألوان التفسير لكتاب الله تعالى، وهو التفسير العلمي الذي يتوخى التوافق والتطابق بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية، ليكون ذلك دليلاً قاطعاً على أن القرآن كلام الله ومن عنده، وهو السبيل لهداية الذين لا يتكلمون العربية، ركزت الدراسة على آراء العلماء من حيث القبول والرد، حيث تم استعراض أربعة نماذج لكل من المعارضين والمسرفين والمعتدلين، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وقد تم مناقشة آراء المعارضين والمسرفين مع وضع بعض القواعد والأسس والضوابط التي ينضبط بها القول بالتفسير العلمي.

(١) حمدان عبد السلام اللوح، مرجع سابق.

المباحث والمطالب:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لتفسير القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم التفسير لغة:

التفسير في اللغة بمعنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء. وقيل: هو مقلوب من (سفر) ومعناه أيضاً الكشف؛ يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وبني على التفعيل؛ لأنه للتكثير، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ أي تفصيلا." [1] وفي لسان العرب: الفسْر: البيان، فَسر الشيء يفسره، بالكسر وبالضم فسراً وفسره أي أبانه، والتفسير مثله. والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.[2]. والسفر: بياض النهار، وسفر الصبح وأسفر: أضاء.[3]

قال الراغب: "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار."[4] ويطلق التفسير في اللغة على الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل ومن ذلك قوله تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} الفرقان ٣٣. كما يطلق ويراد به التأويل ومنه قوله تعالى: {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِه} يوسف ٣٦. يقوله ابن كثير في معنى قوله تعالى: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}.أي ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا جئناك بما هو الحق في

(١) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ج٢، ص١٤٧.

(٢) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مادة (فسر)، ٥/ ٥٥، دار صادر، بيروت– لبنان، ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م.

(٣) المرجع السابق، مادة (سفر)، ٤/ ٣٦٩.

(٤) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ، ص١٠.

نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم [١]. قال ابن فارس: "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك فسر، يقاله: فسرت الشيء وفسرته[٢]" اهـ. وجاء في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير[٣].

المطلب الثاني: معنى التفسير في الاصطلاح:

التفسير في الأصل الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة."[٤] وقد عرف التفسير بـ "علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها." [٥] وعرفه ابن جزي الكلبي ت٧٤١هـ: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه[٦].

تعريف أبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبيّة، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمات ذلك[٧]. وعرفه بدر الدين الزركشي

---

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩هـ، ج٦، ص١١٨.

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٤، ص٥٠٤.

(٣) جد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ٢٠٠٥، ج٢، ص١١٠.

(٤) علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه، ص٦٣.

(٥) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: البرهان في علوم القرآن للزركشي، مرجع سابق، ج٢، ص١٤٨.

(٦) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم: التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ج١، ص٦.

(٧) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ج١، ص٢٦.

ت ٧٩٤هـ: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه[١]. وعرفه تعريف آخر بأنه: علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها[٢].وعرفه ابن عرفة المالكي ت ٨٠٣هـ بأنه: العلم بمدلول القرآن وخاصيّة كيفيّة دلالته وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ[٣].

ومن ثم يتضح أنه تنوعت عبارات المفسرين وكثرت أقوالهم في بيان حدّ التفسير وتعريفه والذي ظهر منها "أن التفسير علم جليل يفهم به كتاب الله سبحانه المنزل على نبيه محمد صلي الله عليه و سلم.

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج١، ص١٣.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص١٤٨.

(٣) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي: تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م، ج١، ص٥٩.

المبحث الثاني: مناهج وطرق التفسير:

المطلب الأول: التفسير بالمأثور وما له وما عليه:

أولا: المقصود بالتفسير بالمأثور:

ويسمى أيضا التفسير النقلي أو التفسير بالرواية[١]، وهو إما تفسير القرآن بالقرآن، أو القرآن بالسنة الصحيحة، أو تفسير الصحابة للقرآن، أما تفسير التابعين للقرآن فقد أختلف فيه إن كان من المأثور أم من التفسير بالرأي[٢]. و قد كان هذا هو المنهاج السائد في عصر الخلفاء الراشدين[٣]. وتأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم فقد تحفظ الصحابة عن التوسع في التفسير لما فيه من تقييد وتحديد للنص الرباني[٤].

ثانياً: ما له وما عليه:

نقل الصابوني عن الزرقاني عن ابن تيمية فقال" وكلمة الإنصاف في هذا الموضوع أن التفسير بالمأثور نوعان: (أحدهما) ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله، وهذا لا يليق بأحد ردّه، ولا يجوز إهماله وإغفاله، ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدي القرآن. بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن. (ثانيهما): ما لم يصح لسبب من الأسباب الآنفة أو غيرها، وهذا يجب ردّه ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به"[٥].

وكما بين ابن تيمية فقد أخذ على التفسير بالمأثور اختلاط الصحيح بغير الصحيح[٦]. وكان ذلك بدخول الأحاديث الغير صحيحة المنسوبة إلى

(١) محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، بيروت، المطبعة العصرية، ٢٠٠٢م، ص٦٣.
(٢) المرجع السابق، ص٦٣-٦٦.
(٣) المرجع السابق، ص٦٥.
(٤) نيازي، عبد الكريم عبد الله، القرآن الكريم معجزة وتشريع، الطبعة الأولى، نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص١٥٢-١٥٣.
(٥) محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، الصابوني، مرجع سابق، ص٦٧.
(٦) محي هلال السرحان: مناهج المفسرين، دار المعرفة، ١٩٨٠م، ص٧٣-٧٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء أكان ذلك بنية حسنة أو بغرض هدم الدين، وأيضا الأقوال الملفقة المنسوبة إلى الصحابة و التابعين الكرام. فعندما نقلت هذه الأقوال من غير إسناد أو بحث في صحتها.

وبالإضافة إلى الأقوال والأحاديث المدسوسة، فقد انتشرت الإسرائيليات في كتب التفسير بالمأثور، وقد نقل الدكتور آل جعفر والسرحان عن الشيخ الذهبي في تعريف الإسرائيليات: "بأنها كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما"، وقد أضاف آل جعفر: "وفي اصطلاح المفسرين والمحدثين شملت حتى القصص والأساطير التي دخلت الحديث والتفسير وهي غريبة عليه وإن لم يكن مصدرها يهودي ولا نصراني"(١).

وقد عزى آل جعفر و السرحان أسباب دخول هذه الإسرائيليات في كتب التفسير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن بالرواية عن أهل الكتاب بما لا يخالف الشريعة، وهذا واضح ومفصل فيما نقل آل جعفر والسرحان عن ابن تيمية في تقسيمه الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام، فقال: "أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح، والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه والثالث هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته، لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمر ديني"(٢). وقد انتشر الرجوع إلى أهل الكتاب في عصر التابعين، فنرى الكثير من الإسرائيليات في كتب تفسيرهم(٣).

(١) مساعد مسلم آل جعفر، ومحي هلال السرحان: مناهج المفسرين، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، السعودية، ١٩٨٠م، ص٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص٨١-٨٢.

(٣) عبد الله شحاتة، علوم التفسير، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٨٦م، ص١٥.

المطلب الثاني: التفسير بالرأي وما له وما عليه:

أولاً: المقصود بالتفسير بالرأي

ويسمى أيضا التفسير بالعقل، أو بالدراية أو بالمعقول، وقد عرفه الصابوني: "المراد بالرأي هنا (الاجتهاد) المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه، وليس المراد به مجرد (الرأي) أو مجرد (الهوى) أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر، أو بحسب ما يشاء"(١).

من هذا نرى أن الصابوني قد وضح نوعين من التفسير بالرأي(٢):

الأول: التفسير المحمود (التفسير بالاجتهاد) الذي له قواعده كما نقلها الصابوني عن السيوطي عن الزركشي فذكر أن التفسير بالرأي يجب أن يستند إلى النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخذ بقول الصحابي، ومطلق اللغة بما يوافق الكلام العربي ويدل عليه قانون الشرع. بالإضافة إلى تمكن المفسر من العلوم المختلفة مثل البلاغة والقواعد وغيرها من علوم اللغة، أصول الفقه، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن.

الثاني: التفسير بالرأي المذموم، فهو إما أن يكون المفسر جاهلا بعلوم القرآن واللغة المذكورة آنفا، أو أن يفسر القرآن بهدف تحقيق أغراض مذهبه أو هواه وأن يجزم أن المراد من كلام الله هو كذا.

ثانياً: ما له وما عليه(٣):

وقد اختلف العلماء بجواز التفسير بالرأي، فمنهم من منعه لأنه عندهم هو قول على الله تعالى بغير علم، وقد قال تعالى: "وأن تقولوا على الله ما

(١) محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص١٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٥٥-١٥٧.
(٣) المرجع السابق، ص١٦٤-١٦٥.

لا تعلمون". واستشهدوا أيضا بالحديث الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. واستندوا أيضا إلى تحرج الصحابة من التفسير بآرائهم.

أما من أجازوه فاستندوا في حجتهم إلى قول الله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" في الاجتهاد في فهم معاني القرآن الكريم. وأضافوا أن لو كان التفسير بالاجتهاد غير جائز لكان الاجتهاد غير جائز أيضا. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل، والتأويل ليس نقلا.

المطلب الثالث: تفسير الفرق الإسلامية المختلفة:

حاولت جميع هذه الفرق تفسير القرآن الكريم بالشكل الذي يساعدها في تأكيد وتبرير معتقداتها.

١- المعتزلة[١]:

المعتزلة يعتبرون أصحاب التفسير بالعقل، وكفرقة بدأت باعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. تميزت المعتزلة عن غيرها من الفرق ببعض الخصائص التي يظهر أثرها في منهج تفسيرهم للقرآن. فقدا درسوا وتأثروا بالفلسفة اليونانية، ونظرتهم واهتمامهم باللغة واضح فقال الدكتور خليل: " على أن المعتزلة كما نعلم أول من دعا إلى دراسة البيان العربي والإبانة عن وجوهه المختلفة وأساليبه المتعددة، وفي أكنافهم كما يقول ابن تيمية نشأت البلاغة العربية"[٢]. ويظهر هذا في تفسير الزمخشري وخاصة في مجالات التجوز في اللغة. المعتزلة أيضا اهتموا جدا بالعقل، فقالوا بالحسن والقبح العقليين، وقدموا حكم العقل على النقل، لكنهم في

(١) السيد أحمد خليل: دراسات في القرآن، دار المعارف، ١٩٩٨م، ص١١٨-١٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص١١٩

فهمهم للنص القرآني لا يدعون إلى العقل "إلا حين يعرض النص لجزئية من جزئيات الاعتقاد تمكينا منهم لهذه العقيدة وحماية لها وتأييدا لسلطانها"(١).

ما لهم و ما عليهم:

تصدى أهل السنة للمعتزلة، أمثال أبو الحسن الأشعري والطبري في تفسيره، وابن تيمية في رسالته أصول التفسير. وكان من المأخوذ عليهم أنهم يريدون أن يستخدموا القرآن في تثبيت وترويج عقائدهم. بينما نستطيع أن نرى التأثير الإيجابي لدراستهم للبلاغة في تفسير الزمخشري.

٢- الخوارج(٢):

هي الفرقة التي خرجت على علي كرم الله وجهه في موقعة صفين بعد قبوله للتحكيم. من أساسيات مذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر ويخلد في النار، وأيضا تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل وكل من رضي بالتحكيم في موقعة صفين. حاولوا تحميل آيات القرآن ما لا تحتمل في سبيل تأييد مذهبهم. ومن كتب تفسير الخوارج المطبوعة: هميان الواد إلى دار المعاد لمحمد يوسف اطيفش، أيضا تيسير التفسير لاطيفش.

٣- الصوفية(٣):

المتصوفة يرون أن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا، وقد شبه الدكتور خليل هذه المعاني الأربعة عند الصوفية إلى تلك الأربعة التي كانت شائعة بين الفلاسفة المسيحيين قبل الإسلام. وضع أيضا المتصوفة نظرية المقامات التي ترقى فيها النفس بالتدريج حتى تتصل بمصدر المعرفة، الملأ الأعلى. وكان تفسير ابن سهل التستري موضحا لهذه النظرية.

(١) المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٩-٢٢٥.

(٣) السيد أحمد خليل: دراسات في القرآن، مرجع سابق، ص١٢٤-١٢٨.

تفسير الصوفية للقرآن يعتمد على تأويل القرآن في تفسير يخالف المعنى الظاهري، وأن هذه المعاني ليست من العلم الكسبي وإنما من العلم اللدني الذي هو أثر الاستقامة والتقوى[١].

ويجب التوضيح هنا أن بعض المؤلفين يشيرون إلى التفسير الصوفي أنه تفسير إشاري والبعض يعتقد أن هناك فرق بين الاثنين، سنتطرق إلى التفسير الإشاري لاحقا. وقد تصدى لهذا التفسير الكثير من العلماء مثل الإمام الزركشي وابن تيمية وغيرهم. فقد هاجم العلماء تفسير أبا عبد الرحمن السلمي المسمى الحقائق، و أيضا تفسير ابن عربي "لبعدهما عن ظاهر النص، واتجاههما إلى الباطن ثم تفسيرهما لألفاظ القرآن وعباراته بتفسيرات بعيدة عن دلالات اللغة، ومواضعها، وتحميلهما للنص معاني لا يدل عليها بأصل وضعه اللغوي..."[٢].

٤- الشيعة[٣]:

الشيعة هم المسلمين الذين تشيعوا لعلي وآل البيت، ويشكلون فرق مختلفة منهم الغلاة ومنهم المعتدلون. من أهم مبادئهم والتي على أساسها يفسرون القرآن الإمامة والعصمة للإمام، بحيث أن الإلهام بحق الإمام هو مثل الوحي بحق النبي. ويشيرون إلى القرآن بالقرآن الصامت وأن الإمام هو القرآن الناطق، فلا بد من الرجوع للقرآن الناطق في توضيح المراد من كلمات القرآن الصامت.

وتفسير الشيعة لكتاب الله مبني على هذه الأصول في عقيدتهم، فهناك الإخباريون الذين يمنعون العمل بظاهر القرآن وهناك الأصوليون الذين

---

(١) عمر يوسف حمزة: دراسات في أصول التفسير ومناهجه، الدوحة، قطر، ١٩٩٠م، ص٢١٢-٢١٣.

(٢) السيد أحمد خليل: دراسات في القرآن، مرجع سابق، ص١٣٠.

(٣) علي السالوس: بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير وأصوله، القاهرة، دار الاعتصام، ص ١٣٣-١٥٩.

يمنعون أيضا العمل بظاهر القرآن ولكن بعد الرجوع إلى أقوال الأئمة. وكما يقول الدكتور السالوس أنهم عندما: "لم يجدوا من ظاهر القرآن الكريم ما يؤيد عقيدتهم لجئوا إلى التأويل"(١). وأضاف الدكتور السالوس أن غلاة الفرقة الاثني عشرية عندما لم يجدوا في القرآن الكريم نصوص ظاهرة صريحة تؤيد عقيدتهم في الإمامة اتجهوا للطعن في الصحابة، وأنهم اغتصبوا الخلافة وحرفوا القرآن حتى لا يظهر حق علي في الخلافة. لكن معتدلي الشيعة تصدوا لحركة أولئك الغلاة، وأشهر من تصدى لهم في القديم، محمد بن بابوبه القمي، صاحب كتاب من لا يحضره فقيه. أما في العصر الحديث فالمعتدلون من الشيعة يتفقون مع أهل السنة أن القرآن الموجود حاليا هو القرآن الصحيح.

المطلب الرابع: كتب التفسير الخاصة:

١- التفسير الإشاري(٢):

"هو أن يرى المفسر معنى آخر، غير المعنى الظاهر وتحتمله الآية الكريمة، ولكنه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه وأنار بصيرته"(٣) و يجب التفرقة هنا أن المقصود بهذا التفسير ليس التفسير الصوفي أو الباطني. وقد فرق التفتازاي بين التفسير الباطني والإشاري فقال: "سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، فال:وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك، يمكن

(١) المرجع السابق، ص١٤٧.

(٢) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص١٦٩-١٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩.

التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان"[١].

وقد أورد الصابوني شروط قبول التفسير الإشاري، فاشترط: عدم التنافي مع المعنى الظاهر في النظم الكريم، وعدم ادعاء أنه المراد الوحيد دون الظاهر، وألا يكون التأويل بعيدا سخيفا لا يحتمله اللفظ، وألا يكون له معرض شرعي أو عقلي، وألا يكون فيه تشويش على أفهام الناس. إذن ليس كل تفسير إشاري محمود، ويعتمد ذلك على مدى تطبيق الشروط السابقة في التفسير.

٢- التفسير الموضوعي[٢]:

وهو نوعان، الأول: "الكلام على السورة ككل مع بيان أغراضها: العامة، والخاصة وما فيها، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض. حتى تبدو السورة وهي في منتهى الدقة والإحكام"، والنوع الثاني" جمع الآيات القرآنية. ذات الهدف الواحد-التي اشتركت في موضوع ما- وترتيبها حسب النزول-ما أمكن ذلك- مع الوقوف على أسباب نزولها. ثم تناولها بالشرح، والبيان، والتعليق، والاستنباط...."[٣]. وأضاف الدكتور الفرماوي أن: "كل ما فسر من القرآن بالقرآن-وهو من التفسير بالمأثور- هو من التفسير الموضوعي، وهو - في نفس الوقت- بدايات قديمة لهذا المنهج"[٤]. مع أن بدايات هذا التفسير قديمة إلا أن المنهج المحدد لهذا النوع من التفسير ظهر في العصر الحالي على يد الدكتور أحمد السيد الكومي.

(١) المرجع السابق، ص ١٧٢.
(٢) عبد الحي الفرماوي: البداية في التفسير الموضوعي، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص٥٠-
(٣) المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.
(٤) المرجع السابق.

٣- التفسير الفقهي[١]:

"هو التفسير الذي يغلب عليه الأحكام الفرعية، حتى تكون طابعه، وان اشتمل على تفسير القرآن بصفة عامة. والتفسير الفقهي يتنوع بتنوع المذاهب"٢. ومن هذه التفاسير: كنز العرفان في فقه القرآن للمقداد السيوري من التفسير الفقهي عند الشيعة الامامية الاثني عشرية، أحكام القرآن للجصاص عند أهل السنة، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٤- التفسير اللغوي[٣]:

ومن الأمثلة عليها في البلاغة: تفسير الزمخشري، وفي المباحث الكلامية: الرازي، وفي إعراب القرآن: البحر المحيط لابن حبان.

٥- التفسير الباطني[٤]:

"الباطنية قوم لا يقبلون الأخذ بظاهر القرآن، وإنما يقولون: أن القرآن له (ظاهر وباطن) ويعتقدون بأن المراد منه (الباطن) دون الظاهر، ويستدلون بقول الله تعالى: "فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب"٥. وهذا من التفسير المذموم. وقد نقل الدكتور حمزة عن الغزالي المذاهب الباطنية مثل الباطنية، والقرامطة، الخرمية، البابكية، الإسماعيلية، السبعية، المحمرة، والتعليمية.

(١) عمر يوسف حمزة، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، مرجع سابق، ص١٨٧-١٩٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٨٧.
(٣) صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة ٢٤، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٧.
(٤) عمر يوسف حمزة، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، مرجع سابق، ص ٢٣٨-٢٤١.
(٥) المرجع السابق، ص٢٤٠.

المبحث الثالث: المهارات والعلوم التي يحتاجها المفسر للقرآن الكريم

المطلب الأول: المهارات المتطلبة لتعليم التفسير العلمي للقرآن الكريم[١] (شرف، ٢٠١٥، ٤، ٥)

أ- مهارات التدريس الفردي: وهذه تعني أن يكون لدى معلم التفسير القدرة على أن:

- يحدد المفهوم العلمي داخل المحتوى الشرعي بدقة.
- يسمي المفهوم العلمي لطلابه.
- يقدم الدلالة اللفظية للمفهوم العلمي.
- يقدم شرحاً مناسباً للمفهوم العلمي يتسم بالدقة العلمية.
- يوظف المفهوم العلمي داخل المحتوى الشرعي.
- يدعم للطلاب العلاقة بين المفهوم العلمي والمحتوى الشرعي.
- يقيم طلابه في المفهوم العلمي المرتبط بالمفاهيم الشرعية.
- يستخدم التتابع المناسب في عرض المفاهيم العلمية في تدريسه.

ب- مهارات التدريس التكاملي: وهى أن يكون لدى معلم التفسير القدرة على أن:

- يعد درساً تكاملياً بين العلوم الشرعية والمفاهيم العلمية.
- يقدم تدريساً يجمع بين المفاهيم الشرعية والمفاهيم العلمية تتسم بالدقة.
- يكامل في تنفيذ درسه بين المفاهيم العلمية والمفاهيم الشرعية.
- يدرس المفاهيم العلمية داخل المحتوى الشرعي بتكامل وظيفي.
- يحلل درسه لتحديد المفاهيم العلمية داخل المحتوى الشرعي بصورة صحيحة.

---

(١) عبد العليم محمد شرف مهارة التفسير العلمي لمعلمي التفسير في المعاهد الثانوية الأزهرية (الحاجة، الأهمية)، كلية التربية، جامعة الأزهر، قسم المناهج وطرق التدريس، ٢٠١٥، ص ص ٤ – ٥.

- يوازن في تدريسه بين تقديم المفهوم العلمي والمفهوم الشرعي.
- يبرز للطلاب أهمية دراسة المفاهيم العلمية المرتبطة بالمفاهيم الشرعية.
- يستعين بمعلم العلوم في تحديد المفاهيم العلمية داخل المحتوى الشرعي.
- يخطط للدرس التكاملي بمساعدة معلم العلوم عند الضرورة.
- يوجه الطلاب نحو فهم العلاقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الشرعية أثناء تدريسه الصفي.

جـ – مهارات التدريس التعاوني: وهى أن يكون معلم التفسير لديه القدرة على أن:

- يتعاون مع معلم العلوم في تدريسه الصفي حول المفاهيم العلمية.
- يتشاور مع معلم العلوم حول المفهوم العلمي قبل تدريسه الصفي.
- يتيح الفرصة لمعلم العلوم لتقديم المفهوم العلمي في تدريسه الصفي.
- يخطط لدرسه بطريقة تعاونية مع معلم العلوم.
- ينسق مع معلم العلوم للتدريس الصفي.
- يؤدي دوره التعاوني في التدريس الصفي بدقة.
- ينفذ درسه التعاوني مع معلم العلوم بصورة مناسبة.
- يدير الدرس التعاوني الصفي بكفاءة.
- يناقش معلم العلوم حول المفهوم العلمي.
- يلاحظ معلم العلوم في تدريسه المفهوم العلمي تعاونياً في درس العلوم الشرعية.
- يعطي وقتاً مناسباً لمعلم العلوم في التدريس الصفي للعلوم الشرعية وفق طبيعة المفهوم العلمي.

د – مهارات الربط بين الحقائق الكونية والمسلمات الشرعية: وهى قدرة معلم التفسير على أن:

- يدعم العلاقة بين المفاهيم العلمية والمفاهيم الشرعية.
- يؤكد أسلمة المفاهيم العلمية داخل المحتوى الشرعي ويدعمه.

- يوظف مدخل الإعجاز العلمي للقرآن في تدريسه المحتوى الشرعي ويبرز أوجهها المختلفة.
- يوجه طلابه نحو دراسة مفاهيم العلوم المتطلبة لفهم المحتوى الشرعي.
- يعدل المفاهيم العلمية المخالفة للنص القرآني وتفسيره.
- يدعم تعلم المفاهيم العلمية من خلال النصوص الشرعية.
- يوجه معلم العلوم نحو الاستشهاد بالنصوص القرآنية عند تدريسه المفاهيم العلمية.
- يعاون معلم العلوم في تحديد النصوص القرآنية المدعمة لأسلمة المفاهيم العلمية ومدخل الإعجاز العلمي للقرآن.
- يشجع معلم العلوم على توظيف مدخل الإعجاز العلمي للقرآن في تدريسه.

إلى جانب ذلك يتطلب أن يمتلك معلم التفسير القرآني جملة من الكفايات التي تؤهله لإبراز العلاقة بين المفاهيم العلمية والمفاهيم الشرعية وتأكيد العلاقة الجوهرية بين العلم والدين ومن هذه الكفايات:

- إدراك ماهية أسلمة المفاهيم العلمية.
- الوعي بماهية مدخل الإعجاز العلمي للقرآن وآليات تنفيذه صفياً.
- المبادرة بالتعاون مع معلم العلوم.
- اكتساب الثقافة العلمية المتطلبة لتدريس التفسير الشمولي.
- فهم أسس التدريس التعاوني.
- الوعي بطبيعة العلاقة الوظيفية بين العلم والدين.

ولعله من أهم المهارات المتطلبة لدى المفسر تمشياً مع الأخذ بالمنهج الشمولي في التفسير أو الاتجاه نحو التفسير الشمولي لآيات القرآن الكريم بما تتضمنه من إعجازات لهذا الكتاب بما فيها الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، من هذه المهارات "مهارة التفسير العلمي" التي تعني بتقديم تفسير علمي يتعلق بكافة المفاهيم والظواهر العلمية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأصول التي يرجع إليها في تفسير القرآن الكريم

يرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي:

أ- كلام الله تعالى: فيفسر القرآن بالقرآن، لأن الله تعالى هو الذي أنزله، وهو أعلم بما أراد به. وذلك أمثلة منها:

١- قوله تعالى: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١). فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٢)

٢- قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ)(٣). فقد فسر الطارق بقوله في الآية الثانية: (النَّجْمُ الثَّاقِبُ)(٤).

٣- قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) (٥) فقد فسر دحاها بقوله في الآيتين بعدها: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) (٦). (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) (٧).

ب - كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيفسر القرآن بالسنة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى، فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى كلامه.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٦٣.
(٣) سورة الطارق، الآية: ٢.
(٤) سورة الطارق، الآية:٣.
(٥) سورة النازعات، الآية: ٣٠.
(٦) سورة النازعات، الآية: ٣١.
(٧) سورة النازعات، الآية: ٣٢.

ولذلك أمثلة منها:

١- قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) [١] ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، فيما رواه ابن جرير وابن أبي حام صريحا من حديث أبي موسى[٢] وأبي بن كعب[٣]. ورواه جرير من حديث كعب بن عجرة [٤] في "صحيح مسلم" عن صهيب بن سنان عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث قال فيه: " فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل "، ثم تلا هذه الآية (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [٥].

٢- قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [٦] فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي. رواه مسلم، وغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ج- كلام الصحابة رضي الله عنهم، لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم، ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق، وأسلمهم من الأهواء، وأطهرهم من المخالفة التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب. ولذلك أمثلة كثيرة جدا منها:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض ١٩٤٥/٦، حديث رقم ١٠٣٤١.

(٣) الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف – عصام فارس الحرستاني، مؤوسة الرسالة، د. ت ٦٩/١٥، حديث رقم ١٧٦٣٣.

(٤) أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، (١٩٢/١).

(٥) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

١- قوله تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) [١] فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه فسر الملامسة بالجماع

د- كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة، وأسلم من الأهواء ممن بعدهم. ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيرا في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا أجمعوا - يعني التابعين - على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو ألسنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك[٢].

وقال أيضا: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطوة، ثم قال: فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا.

هـ - ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق لوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) [٣] وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [٤] وقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) [٥].

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٦٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي، أخذ بما يقتضيه الشرعي، لأن القرآن نزل لبيان الشرع، لا لبيان اللغة إلا أن يكون هناك دليل يترجح بـــه المعنى اللغوي فيؤخذ به.

مثال ما اختلف فيه المعنيان، وقدم الشرعي: قوله تعالى في المنافقين: (وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً) [1]. فالصلاة في اللغة الـــدعاء، وفـــي الشرع هنا الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة فيقـــدم المعنـــى الشرعي، لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب، وأما منع الدعاء لهم على وه الإطلاق فمن دليل آخر.

ومثال ما اختلف فيه المعنيان، وقدم فيه اللغوي بالدليل: قوله تعـــالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَـــيْهِمْ) [2]. فـــالمراد بالصلاة هنا الدعاء، وبدليل ما رواه مسلم عن عبد الله بن أبي أوفي، قـــال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم، صلى عليهم، فأتاه أبـــي بصدقته فقال: " اللهم صل على آل أبي أوفي"[3].

وأمثلة ما اتفق فيه المعنيان الشـــرعي واللغـــوي كثيـــرة: كالســـماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان.

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب ٥٤: الدعاء لمن أتى بصدقة، حديث رقم ٢٤٩٢ (١٧٦) ١٠٧٨.

المطلب الثالث: العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

تتعدد العلوم التي يحتاج إليها المفسر للقرآن الكريم وتعينه على الفهم السليم له، ومن هذه العلوم ما يلي:

١. اللغة و الاشتقاق: لأننا باللغة نعرف معاني المفردات، وفهم حقائق الألفاظ المفردة يكون باستقصاء المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في آيات القرآن.
٢. النحو والصرف: لأن المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الإعراب، ويقع الذين يجهلون هذين العلمين ويتصدون للتفسير في أغلاط شنيعة.
٣. الأدب وعلوم البلاغة: ذلك لأن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير، فلا بد من إشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها.
٤. علوم القرآن: ذلك لأن معرفة هذه العلوم من أهم الأدوات التي لا بد منها لعملية التفسير. فمعرفة أسباب النزول تساعد كثيراً على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق. وكذلك معرفة المكي و المدني تعين في إدراك معاني الآيات، وكذلك هو الحال في معرفة الناسخ والمنسوخ فإنه لها أهميتها القصوى في تفسير الآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد. وكذلك فالمحكم و المتشابه من الأمور الأساسية في التفسير، حتى نتخلص من عناء الدخول في متاهات المتشابه، و لنصرف جهدنا وطاقاتنا في تفسير المحكم.
٥. علوم أصول الدين والتوحيد: وذلك لأن هذا الكتاب الكريم يتضمن نظرة جديدة إلى الكون والحياة والإنسان متمثلة في العقيدة الإسلامية، فإدراك أصول هذه العقيدة يساعد مساعدة تامة في شرح الآيات الكريمة المتعلقة بذلك.
٦. علم أصول الفقه: لأننا بواسطة هذا العلم نستطيع أن نعرف استنباط الأحكام من النص، ووجه الاستدلال على الأحكام.

٧. الحديث النبوي والسيرة: أما الحديث ففيه تفسير لعدد من آيات القرآن، إذ كانت مهمة النبي صلى الله عليه و سلم الأولى تبيان ما نزل إليه، وفيه تفصيل للمجمل وبيان للمبهم. وأما الفقه الإسلامي فإنه يعرض الأحكام الإسلامية التي ذكرها القرآن مبوبة مجموعة، فيساعد استحضارها على تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام.

٨. علوم أخرى: كالعلوم الاجتماعية والعقلية و الكونية وما يتصل بالثقافة العامة، فالتاريخ والجغرافيا والاجتماع ولعم النفس والفلك... كل هذه العوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيراً يتصل بحياة الناس.

المطلب الرابع: ضوابط تدريب المفسرين:

هناك عدد من الملحوظات المهمة التي يجب الانتباه إليها عند إعداد تدريب المفسرين، من أهمها ما يلي [١]:

١. الأخذ بالأصول الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح عند إعداد مقررات ومناهج تدريب المفسرين.

٢. أن يشمل التدريب مجالات التدريب كافة، التي يحتاجها المفسر لكتاب الله من حيث الوسائل والأساليب، ومن حيث الجانب العلمي والإيماني والسلوكي والأخلاقي.

٣. وضع نظام متقن لانتقاء واعتماد المفسرين الجدد؛ حتى تضمن المؤسسة استقطاب الكفاءات المتميزة للعمل فيها.

٤. إيجاد الحافز المستمر للتعلم لدى المفسرين إلى الله، وتنمية الرغبة في بناء الذات وتطويرها. وهذا الحافز لن يتحقق إلا إذا كانت بيئة المؤسسة بيئةً صحيةً تحرص على ذلك، وتشجع على الإبداع، وتُعِين على التميز.

(١) حسن الطعاني: التدريب مفهومه وفعالياته، دار الشروق، الأردن، ٢٠٠٢م، ص ٤٢

٥. التدريب بدون تخطيط يعد هدراً للموارد، لذا لا بد من التخطيط الجيد والمدروس لعملية التدريب وفق الواقع والإمكانات والاحتياجات المتطلبة.

المطلب الخامس: خصائص شخصية المفسر:

اقتضت حكمة المولى عز وجل أن يكون الناس مختلفين في مهنهم ومكاسبهم، وأشغالهم، ومعايشهم، وطبقاتهم، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(١)، ومن هنا نجد في العالم الفقراء والأغنياء، والجند والقادة، والملوك والرؤساء، والأساتذة والطلاب، والوعاظ والموعوظين، وهذا الكم الهائل من البشر يستطيع كل فرد فيه أن يجد في حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أسوة يقتدى بها، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(٢).

"ودراسة شخصية المفسر إحدى القضايا المهمة التي أخذ علماء النفس على عاتقهم تبيانها؛ حيث إن دراستها لا تقتصر على ظاهرة معينة، أو نمط من أنماط السلوك الطارئ؛ ولكنها تتسع لتشمل عملية تحديد الصفات الأساسية لدى الأفراد والتي يكون لها تأثير دائم على جميع جوانب سلوكهم"(٣).

ولا شك أن مهنة تفسير كتاب الله – تعالى – تتطلب إنساناً يحمل صفات وخصائص متفردة، ومن الخصائص والصفات التي ينبغي أن تتوافر في المفسر اتسامه بالاتزان النفسي والانفعالي، وتمتعه بالثقة العالية في

(١) سورة هود، الآية: ١١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) رشاد عبد العزيز موسى: أصول علم نفس الدعوة، القاهرة، دار النفيس، ١٩٩٩م، ص١٧٣.

النفس، وأن يتقبل ذاته، ويتقبله الآخرون من حوله، وأن تنمو لديه القدرة على ترويض نفسه وضبط ذاته، وتحمله للمسئولية [١].

كما أن وظيفة المفسر تستدعى أن يكون مميزاً عن غيره في المهن الأخرى؛ ولذلك فمن أول ما يميز شخصية المفسر أن يكون مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان – عليه الصلاة وأتم السلام – جامعاً للكمال البشرى، ومثلاً أعلى للمحامد الإنسانية والصفات العليا [٢].

والمفسر ينبغي أن يكون واسع الثقافة، وأن يكون ملماً بمعارف شتى، ومن أهم ما يميز شخصية المفسر العلم بالكتاب والسنة وما صح من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين، والسلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين، كما أن التطبيق العملي لما سبق لابد وأن يكون هو شعار المفسر سواء في نفسه، أم في أهله، أم في عشيرته حتى لا يكون من الذين يقولون مالا يفعلون[٣]، قال الله – تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [٤].

ومن صفات المفسر التمسك بالأخلاق الفاضلة حتى يكون جديراً بالاحترام في كل مكان، وأن يكون متفقها في الدين والدنيا، وليسخر الدنيا لخدمة الدين حتى تقوى وتعمر القلوب، ثم إن مهارته في شئون الحياة تتحول مع صدق النية إلى وسائل لدعم الحق وسيادته [٥].

والتحلي بالصبر يساعد المفسر على اجتذاب الناس واستيعابهم فالناس أصحاب أمزجة شتى، ومشاكلهم كثيرة، وهمومهم كبيرة يحتاجون إلى من

---

(١) محمود عبده فرج: تقويم المهارات الأدائية لدى الدعاة، حولية كلية التربية ببنها – جامعة الزقازيق، المجلد العاشر، (العدد ٣٧) ١٩٩٩م، ص٢١١.

(٢) جمعة على الخولى: كيف تبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية، كلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، ص٧٤.

(٣) أحمد محمد الحوفى: فن الخطابة، القاهرة، نهضة مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص٥٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٥) محمد الغزالي: هموم داعية، القاهرة، (نهضة مصر) الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص١٢٩.

يتسع صدره لهم، كما أن نقل إنسان من الضلال إلى الهدى، والأخذ بيده من الظلمات إلى النور يحتاج من المفسر إلى صبر طويل وتحمل عظيم، وفي سيرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم أعظم الدروس في الصبر الجميل(١).

ومن صفات المفسر أن يكون أليفاً، رفيقا في المعاملة، لينا من غير ضعف، متواضعا في غير ضعة، رزيناً، يتجه إلى معالي الأمور، لا ينزل إلى سفاسفها، يحسون في حضرته بأنه منهم، وأن يبتعد عن مواطن الشبهات؛ فإن إثارة الشبهات حوله تضعف قوة قوله، وتوهن دعوته، وإذا وهنت الدعوة وهنت الإجابة، ولم يجد مجيباً (٢).

ومن صفات المفسر اعتماد طريقة الحكمة مع ذوى الألباب وأصحاب الفكر، وطريقة الحكمة تكون باستعمال المنطق والأسلوب العقلي الرفيع، فالمخاطبون بهذه الطريقة لا تتفتح عقولهم إلا بذلك، ولا تتولد قناعاتهم إلا بإيراد الحجج والبراهين الدامغة، واعتماد طريقة الموعظة الحسنة مع العوام، والدرجات الدنيا وتكون بالتماس أساليب القصص، ومخاطبة العواطف والمشاعر بضرب الأمثال وذكر أنباء السلف ومناقبهم(٣).

كما أن المفسر الجيد هو الذى يخصص جانبا من يومه وليلته للقراءة في الكتب النافعة، وأن يطلع على أساليب من سبقوه إلى الميدان، إما بالسماع منهم إذا عاصرهم، وإما بالاطلاع على ما تركوه مكتوباً، ولا بأس أن يبدأ

(١) فتحي يكن: الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الإيمان، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م، ص٢٧.

(٢) الأزهر الشريف: بحوث في الدعوة الإسلامية، اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر، الأمانة العامة، ١٩٨٣م، ص١٤٣.

(٣) مصطفى الرافعي: الدعوة والدعاة في الإسلام، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص٣٦.

في أول الأمر مقلداً،ولكنه بالمداومة، والمران والصبر على مشاق الطريق تصبح له شخصية تمتاز بطريقتها في خطاب الناس(١).

ولابد للمفسر أن يكون مُلماً بقواعد اللغة العربية، وأساليبها، وتراكيبها، وأن يحسن تقديم ما يريد قوله بأسلوب شائق، ولغة حسنة بعيداً عن اللحن والخطأ والتلعثم.

وفى النهاية ينبغي على المفسر أن يكون على علم ببعض اللغات؛ حتى يتمكن من الاطلاع على ما يكتبه "الأصدقاء الأعداء" عن الإسلام، ومن إفهام وإقناع من يتكلم بغير العربية من المسلمين وغير المسلمين.

(١) أحمد بن محمد طاحون: مرشد الدعاة إلى الله، دراسة وتطبيق، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٩٨٩م، ص٢٨

المبحث الرابع: ضوابط ومتطلبات الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم:

المطلب الأول: مفهوم الضوابط:

الضوابط في اللغة جمع ضابط وهو اسم فاعل من الفعل ضَبَطَ، وضَبْطُ الشيء بمعنى حفظه بالحزم(١)، تقول ضَبَطَهُ ضبطاً أي حفظه حفظاً بليغاً، ومنه قيل: ضبطت البلاد وغيرها إذا قمت بأمرها قياماً ليس فيه نقص(٢).

والضبط يعني لزوم الشيء وحبسه، وضبط عليه وضَبَطَهُ يضبط ضَبْطَاً وضُبَاطَة، وقال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء(٣). والضابط هو حكم كلي ينطبق على جزئياته، وما يضبط وينظم من المبادئ والقواعد التي لا بد من الالتزام بها والمحافظة عليها(٤).

وتأسيساً على هذا فإن المعنى اللغوي لكلمة الضوابط هو المبادئ والقواعد الكلية أو الشروط اللازمة للقيام بالأمر على وجهه الأكمل، ومن ثم فضوابط الاجتهاد تعني القواعد والمبادئ الكلية والشروط والمعايير التي لا بد من تحقيقها حتى يكون صاحبها أهلاً لعملية الاجتهاد؛ لأن لكل عمل وفن وصناعة أهلية خاصة لا تتحقق إلا بالإحاطة بما يلزم لها(٥).

(١) الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تحقيق: سليم محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م، ص١٨٢

(٢) الفيومي، أحمد بن علي المقري: المصباح المنير، دار الفكر الإسلامي الحديث، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٤٤

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، مرجع سابق، ص٣٤٠

(٤) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د. ت)، ص ص ٧٦٢، ٧٦٣

(٥) زكريا البري: أصول الفقه الإسلامي، القاهرة، (د. ن)، ١٩٩٧، ص٣٠٣

المطلب الثاني: الضوابط التي على المفسر مراعاتها في عملية التفسير

- أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسِر للمفسَر، وأن يحترس في ذلك عن نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغرض أي لا يوجز فيخل ولا يطيل ويستطرد فيُمِل.
- أن يعني بأسباب النزول فإن أسباب النزول كثيرا ما تعين على فهم المراد من الآية، فمثلا في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً}(١) معناها أن اليهود فضلوا الوثنية على دين التوحيد، فكان ذلك خيانة منهم للأمانة التي أخذها الله عليهم بأن يقولا الحق ولا يجحدوا واستحقوا بهذا التوبيخ والوعيد، فناسب بعد هذا أن يذكر بالأمانة العامة: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}(٢).
- أن يعنى بذكر المناسبات بين الآيات؛ لأن في ذلك الإفصاح عن خصوصية من خصوصيات القرآن الكريم وهي الإعجاز، وللمناسبات في الكشف عن أسرار الإعجاز ضلع كبير، وقد اختلفت مناهج المفسرين في هذين الأخيرين، فمنهم من يذكر المناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة عليه، وبعضهم يذكر السبب أولا لأن السبب مقدم على المسبب، والتحقيق بالتفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقف على سبب نزول الآية كآية: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ، فهذا ينبغي فيه تقديم السبب على المناسبة؛ لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل عل المقاصد، وإن لم يتوقف وجه المناسبة على ذلك، فالأولى تقديم المناسبة على سبب النزول لبيان تآلف نظم القرآن وتناسقه وأخذ آياته بعضها ببعض.

(١) سورة النساء، الآية: ٥١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

- لابد للمفسر أن يجرد نفسه من الميل لمذهب بعينه؛ حتى لا يحمله ذلك على تفسير القرآن بحسب رأيه، فإنه لا مذهبية في الإسلام، ولا يزيد في القرآن على ومنهجه الواضح وطريقه المستقيم.
- مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي؛ حتى لا يصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازي إلا بصارف، وليقدم الحقيقة الشرعية على اللغوية، وكذلك الحقيقة العرفية وليراعي حمل كلام الله على معانٍ جديدة أولى من حمله على التأكيد، وليراعي الفروق الدقيقة بين الألفاظ.
- مراعاة تأليف لكلام والغرض الذي سيق له؛ فإن ذلك يعينه على فهم المعنى المراد وإصابة الصواب، قال الزركشي في كتاب البرهان:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز".
- يجب على المفسر البداءة بما يتعلق بالمفردات وتحقيق معانيها، ثم يتكلم عليها بحسب الترتيب؛ فيبدأ بالإعراب إن كان خفياً، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم ليبين المعنى المراد، ثم ليستنبط من الآيات والآداب وليراعي القصد فيما يذكر من نحويات أو بلاغيات أو أحكام حتى لا يطغى ذلك على جوهر التفسير.
- التحاشي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، والروايات المدسوسة من الإسرائيليات ونحوها؛ حتى لا يقع فيما وقع فيه الكثير من المفسرين السابقين من الموضوعات والإسرائيليات في أسباب النزول، وقصص الأنبياء والسابقين، وبدء الخلق، والمعاد ونحوها.

المطلب الثالث: الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر:

يمكن تقسيم هذه الشروط إلى ثلاثة أقسام:

١. شروط علمية: تتلخص بإتقان المفسر قدراً جيداً من العلوم التي ذكرت آنفاً.

٢. شروط عقلية:

وهي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفاً اختلاف الأقوال على حقيقته.

٣. شروط دينية وخلقية: وهي أن يكون صحيح العقيدة، مؤدياً للواجبات الدينية، ملتزماً الآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الإسلام وأن يكون محرراً من سلطان الهوى، شديد الخشية لله تعالى.

المطلب الرابع: ضوابط الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم:

١ــ العلم بالقرآن الكريم:

لا شك أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للشريعة الإسلامية، والعلم بالقرآن الكريم يستلزم معرفة معانيه اللغوية والشرعية، وعلل أحكامه وغاياتها من جلب المصالح للعباد ودرء المفاسد عنهم، وكذلك الإلمام بالعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، كعلوم التفسير، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، وأوجه دلالة الألفاظ على المعاني من عبارة وإشارة ودلالة اقتضاء، أما حفظ القرآن الكريم للمجتهد ففيه خلاف، حيث يرى البعض أن المجتهد لا بد أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله؛ وذلك لأن الحفظ أعون على الاهتداء إلى الدليل، كما أن الحافظ أضبط لمعانيه من الناظر فيه، ويكفي حفظه بقراءة واحدة من القراءات المتواترة وليس بجميع القراءات، أما البعض الآخر فيرى أن حفظ القرآن ليس شرطاً للاجتهاد ويجوز الاقتصار على الطلب والنظر فيه، وأن يكون المجتهد ماهراً في

الحصول على الآيات التي يحتاج إلى النظر فيها، وإن كان من المستحسن أن يكون المجتهد حافظاً للقرآن الكريم حتى يعينه على معرفة أحكامه ويسهل عليه استحضاره وإن لم يكن شرطاً للاجتهاد(١).

وإذا كان البعض قد توسط في قضية حفظ القرآن الكريم بالنسبة للمجتهد في علم الفقه بأن يكون المجتهد حافظاً لآيات الأحكام التي يصل مقدارها إلى خمسمائة آية(٢)، إلا أن الباحث يرى هنا ضرورة حفظ القرآن الكريم كاملاً للمجتهد في مجال التربية الإسلامية؛ لأن المضامين التربوية مبثوثة في القرآن الكريم كله بما فيه من آيات الأحكام وغيرها من الأوامر والنواهي والقصص القرآني، لاسيما وأن القرآن الكريم كله كتاب هداية وتهذيب وتربية.

٢ــالعلم بالسنة النبوية المطهرة:

من المعلوم أن السنة النبوية المطهرة مصدر أساسي من مصادر الشريعة الإسلامي، وتأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، ومن ثم فإن العلم بها ضروري للاجتهاد في تفسير القرآن الكريمة؛ لأنها تمثل المعيار الثاني الذي نزن في ضوئه ونقيم على أساسه كل اجتهاد.

والسنة النبوية المطهرة تعني كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقِيَّةٍ أو خُلُقِيَّةٍ أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وعلاقتها بالقرآن الكريم علاقة وثيقة؛ لأنها إما أن تؤكد ما جاء في

(١) انظر في ذلك:

ــ أحمد عبد العزيز السيد: بحوث في الاجتهاد عند الأصوليين، أسيوط، مكتبة بدارى، ١٩٩٩، ص ص ١٩٢، ١٩٣.

ــ عبد الرءوف بن محمد أمين الإندونيسي: الاجتهاد تأثره وتأثيره في فقهي المقاصد والواقع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٧،ص ص١٢٥ ــ ١٣٣.

ــ محمد سيد طنطاوي: الاجتهاد في الأحكام الشرعية، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٩٧، ص١٤.

ــ نادية شريف العمري: الاجتهاد في الإسلام: أصوله، أحكامه، آفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٨١، ص ص ٦٤، ٧٠، ٧١.

(٢) محمد سيد طنطاوي: الاجتهاد في الأحكام الشرعية، مرجع سابق، ص١٤.

القرآن الكريم، أو تشرح نصاً مجملاً من نصوصه، أو تخصص نصاً عاماً، أو تقيد نصاً مطلقاً[١].

والعلم بالسنة يقتضي معرفة معاني مفرداتها وتراكيبها ودلالة الكلام على المعاني، وما تتضمنه السنة من أحكام كلية ومقاصد عامة وأحكام تفصيلية، جزئية، وخاصة، كما يقتضي العلم بالسنة معرفة نشأة علوم السنة، وتاريخ التدوين، ومعرفة علم مصطلح الحديث رواية ودراية، وعلم الجرح والتعديل؛ لمعرفة مدى قوة السند ومرتبته، والتمييز بين الصحيح والحسن والضعيف سنداً ومتناً، ومعرفة الموضوع من الأحاديث فلا يستدل به مطلقاً، ومعرفة كتب السنة، وكيفية تخريج الأحاديث منها، وكتب الشروح الكثيرة التي توفرت على شرح كتب السنة، أما حفظ الأحاديث فليس شرطاً للاجتهاد، ويكفي المجتهد أن يكون قادراً على البحث في كتب السنة، ومعرفة مواقع الأحاديث وترتيبها وأبوابها، لاسيما بعد أن دونت الأحاديث في الكتب المُعْتَبَرة وبوبت تبويباً يُسهل الرجوع إليها في كل باب، وبينت درجة كل منها من الصحة والضعف، وتكلم علماء الرجال عن رواتها، فلا حاجة إلى حفظ الأحاديث لما فيه من العسر والمشقة، بل المطلوب الممارسة والمران على استعمال كتب السنة ممارسة تسهل على صاحبها الوصول إلى الأحاديث الصحيحة التي يريد الرجوع إليها والاستنباط منها، وإن كان يقدر على حفظها فهو أكمل وأحسن[٢].

---

(١) مصطفى رجب وآخرون: الحديث النبوي دراسة وتدريساً، دسوق، درا العلم والإيمان، ٢٠٠٩، ص ص ٩ــ٢٠.

(٢) يراجع في ذلك:

ــ عبد الحي عزب: القول المبين في الاجتهاد عند الأصوليين، القاهرة، مكتبة الغد للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ص٢٥، ٢٧.

ــ عبد الرءوف بن محمد الأندونيسي: الاجتهاد تأثره وتأثيره في فقهي المقاصد والواقع، مرجع سابق، ص ص١٢٧، ١٢٨.

ــ محمد سيد طنطاوي: الاجتهاد في الأحكام الشرعية، مرجع سابق، ص١٥.

ــ نادية شريف العمري: الاجتهاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ص٧٢، ٧٥، ٧٦.

يبدو مما سبق أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للاجتهاد في تفسير القرآن الكريم، ومن ثم يجب على من يتأهل للاجتهاد أن يكون على علم تام بالسنة وعلومها[١] .

٣ــ معرفة اللغة العربية:

من الضوابط اللازمة للمفسر معرفة اللغة العربية؛ لأنها الوسيلة الأساسية للتعامل السليم مع القرآن والسنة، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، والرسول ﷺ أفصح العرب بيد أنه من قريش، وقد أوتي جوامع الكلم، ومن هنا تعد معرفة اللغة العربية واجباً لأن ما لا يتم الواجب ــ وهو العلم بالقرآن والسنة ــ إلا به فهو واجب.

وتتضمن معرفة اللغة العربية معرفة النحو والصرف والبلاغة ومعاني المفردات اللغوية؛ حتى يستطيع المجتهد أن يميز بين المعنى الظاهر والخفي، وبين الحقيقة والكناية والشبه، بحيث يتمكن من العلم بما تدل عليه الكلمات وطريق دلالتها، ولا يشترط أن يكون إماماً في اللغة كسيبويه والخليل بن أحمد وغيرهما، بل يكفيه منها القدر الذي يستطيع به فهم نصوص القرآن والسنة، وكيفية الاستنباط السليم منهما[٢].

(١) مصطفى رجب وآخرون: الحديث النبوي دراسة وتدريساً، مرجع سابق، ص٥.

(٢) انظر:

ــ السيد عبد اللطيف كساب: أضواء حول قضية الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، القاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، ١٩٨٤، ص ص٣٤، ٣٥.

ــ محمد عبد السميع فرج الله: الاجتهاد والتقليد وضوابط الإفتاء، القاهرة، (د. ن)، (د. ت)، ص ص٢٧، ٢٨.

ــ وهبة الزحيلي: "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية"، من بحوث مؤتمر الفقه الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٣٩٦هـ، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م، ص١٨١.

٤ــ معرفة أصول الفقه:

يشترط في المجتهد أن يكون على معرفة بعلم أصول الفقه؛ حتى يتعرف على الأدلة الشرعية وشروطها، ووجوه الدلالة، وقواعد الاستنباط من القرآن والسنة؛ لأن من لم يعرف هذه القواعد لا يتمكن من الاجتهاد الصحيح(١).

ويعد علم أصول الفقه من أهم العلوم التي ينبغي على المجتهد الإلمام بها؛ وذلك لما تعطيه دراسة هذا العلم لمن يتصدى للاجتهاد من قدرة على الاستدلال وتمكن من الاستنباط بشروطه(٢).

وتأتي دراسة علم أصول الفقه كضرورة يتأهل من خلالها المجتهد للتعامل مع المصدر الرابع من مصادر الاجتهاد وهو القياس، فمن خلال علم أصول الفقه يعرف المجتهد حقيقة القياس، وأركانه، والشروط الواجب توافرها في كل ركن؛ لأن القياس هو مناط الاجتهاد؛ وقد يتعين طريقاً للاستنباط في بعض المسائل، فمن لم يعرف القياس لا يمكنه الاستنباط فيها(٣).

---

(١) سيد محمد موسى: الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٣، ص ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) أحمد عبد العزيز السيد: بحوث في الاجتهاد عند الأصوليين، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٣) عبد الوهاب خلاف: الاجتهاد والتقليد والتعارض والترجيح، القاهرة، مطبعة النصر، ١٩٥١، ص٢٠، وأيضاً محمد سيد طنطاوي: الاجتهاد في الأحكام الشرعية، مرجع سابق، ص١٥.

المبحث الخامس: كيفية الوقوف على تفسير سورة من القرآن مع تطبيق عملي لخطوات التفسير وما ينبغي على المفسر مراعاته في كل منها:

من الأهمية للمفسر بعما يتوافر فيه نقاء السريرة وإخلاص النية لله تعالى في استكشاف معاني القرآن ويتم تأهيله وتدريبه لتفسير كتاب الله عز وجل أن يراعي الخطوات التالية.

اسم السورة: وعلاقة هذا الاسم بموضوع السورة، ويلاحظ هنا أنه قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فاكثر، وينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توفيقي أو لا.

فضل السورة: جاءت روايات في فضل العديد من سور القرآن الكريم نحو قوله عليه السلام: "أعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين"[١]. وقال عليه السلام في فضل البقرة وآل عمران: "اقرءوا الزَّهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صوافَّ تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرةٌ ولا تستطيعها البطلة". [السحرة][٢]. وعلى الباحث أن يحذر الوقوع في الأحاديث الموضوعة في فضائل السور.

قيل لأبي عصمة الجامع (نوح بن أبي مريم): " من أين لك عن عكرمة (مولى ابن عباس) في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[٣].

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير – اليمامة، (ط: ١٩٨٧/٣م)، تحقيق د. مصطفى ديب البغان رقم ٤٢٠.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج١، ص٣٥٥، رقم ٨٠٤.

٣ الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (تفسير الجلالين)، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج١، ص٢٨٢.

وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القرآن سورة سورة فإنه موضوع.

وقد جرت عادة المفسرين الذين ذكروا فضائل سور القرآن أن يذكروها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها، إلا الزمخشري فإنه يذكرها في أواخرها، وعلل ذلك كون الفضائل صفات لها والصفة تستدعي تقديم الموصوف[1].

ملاحظة الجو الذي نزلت فيه السورة:

فمن الضروري معرفة تاريخ الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة عند نزول القرآن الكريم حتى يتضح لنا طبيعة الجو الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي نزل النص القرآني خلاله معالجاً للعديد من القضايا، فمن علم طبيعة أحوال البشر عند نزول القرآن استطاع الوقوف على مدى تأثير القرآن في النفوس، وأساليبه المعجزة في علاجها مراعياً في ذلك الحالة الاجتماعية والنفسية.

تحديد كون السورة مكية أو مدنية:

فإن المفسر يستطيع عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ عند معرفته أن هذه السورة نزلت قبل تلك، فما نزل سابقاً ينسخ أو يخصص بالمتأخر نزولاً ما لم ينص على أن بعض آيات السورة متأخرة نزولاً.

كما أن معرفة المكي من المدني تفيد المفسر في حقل الدعوة إلى الله بأن يميز بين مراحل الدعوة وأساليب الخطاب فيها، فالخطاب يختلف باختلاف المخاطب ومعتقده.

---

١ الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٥١٣.

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها:

المناسبة في اللغة تعني اتصال الشيء بالشيء، ومنه الطريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض، ومنه النسيب لاتصاله أو الاتصال به.

والمناسبة في الاصطلاح: وجه الارتباط والاتصال بين جمل الآية الواحدة، وآيات السورة الواحدة، ومطلع السورة مع خاتمتها، والسورة مع ما قبلها وما بعدها وفق ترتيب التلاوة في المصحف العثماني، وهذا الأخير هو الذي يعنينا هنا في هذا المقام، إذ من الضروري معرفة مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها، وهذا يكشف عن الوحدة الموضوعية لسور القرآن، وأن القرآن الكريم وحدة واحدة متماسك السور من أوله إلى آخره.

ففائدة علم المناسبات أنه يكشف اللثام عن تماسك أجزاء الكلام في القرآن الكريم، وأنه آخذ بعضه بأعناق بعض ليشكل وحدة واحدة متماسكة البنيان، ومن جهة ثانية فإن علم المناسبات يساعد في الوقوف على مقصود السورة.

ومن جهة ثالثة فإن علم المناسبات يساعد على تذوق إعجاز القرآن والكشف عن أسراره البيانية، ويعمل على تفتيح العقول من أجل اكتشاف أسرار الربط والتناسق بين آيات القرآن وسوره سيما وأن هذا العلم ليس أمراً توقيفياً بل يعتمد على اجتهاد المفسر ويفتح له الأبواب للنظر والتدبر، فإذا أمعن فيه النظر كشف عن العظات والعبر، وقد أرشدنا الله إلى تدبر آياته والتعرف على إعجاز سبكه وعدم اختلافه، فقال جل شأنه (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [١].

وعدَّ البقاعي علم المناسبات في غاية النفاسة وأن نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

ومن أهم المراجع التي تكلمت عن علم المناسبات: كتاب البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن للإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت:٧٠٨ هـ)، وهو شيخ أبي حيان، وكتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، وكتاب: تناسق الدرر في تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١).

محور السورة وموضوعها:

من الضروري لمن رام الوقوف على تفسير سورة أن يتعرف على موضوع السورة ويحدد معالم شخصيتها المميزة، وقد تحتوي السورة مواضيع متعددة، وعلى الباحث أن يحاول الربط بين هذه المواضيع إذا استطاع ذلك دون تكلف.

ومن الذين اهتموا ببيان محور السورة ووحدتها الموضوعية الإمام محمد عبده في تفسيره للقرآن الكريم فهو يرى أن لكل سورة من سور القرآن الكريم روحاً يسري في أجزائها وفكرة عامة تربط بين آياتها، وهو يرى أن فكرة السورة يجب أن تكون أساساً في فهم آياتها، والموضوع يجب أن يكون أساساً في فهم الآيات التي نزلت فيه، وكان هذا من أسباب رفضه كل تفسير لا يحقق التناسق والتوافق بين أجزاء السورة.(شحاتة، د. عبد الله محمود، القرآن والتفسير، وتأثر به في ذلك أساتذة في التفسير في العصر الحديث السيد محمد رشيد رضا والأستاذ محمود شلتوت وكذلك د. محمد عبد الله دراز، أما شلتوت فقد كان يعمد في تفسيره إلى بيان الفكرة العامة للسورة، ويعرض المواضيع التي تعالجها والمبادئ والحقائق التي تسجلها، وعند حديثه عن سورة البقرة مثلاً – وهي أطول سورة في القرآن – يرى أنها تهدف في جملتها إلى غرضين أساسين[١].

(١) عبد الله محمود شحاتة: القرآن والتفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص١٤١.

وأما دراز فقد تحدث عن الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم وألف في ذلك كتاباً قيماً متميزاً في بابه هو: "النبأ العظيم" ومن جملة ما قال فيه عن الوحدة الموضوعية:" إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنيةٌ متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شُعبٌ وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول: فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة..... ولماذا نقول: إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباطٌ موضعي من أنفسها، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معيَّن، وتؤدي بمجموعها غرضاً واحداً مع اختلاف وظائفه العضوية"[١].

الاهتمام بما انفردت به السورة وتميزت به عن غيرها:

فهناك سور انفردت بميزات خاصة بها، ومن ذلك سورة النور التي افتتحت بقوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) [٢].

فهذا تفرد لا نظير له في باقي سور القرآن، إذ هي السورة الوحيدة التي ابتدأت بما يشير إلى فضلها ومكانتها ومنزلتها، وكأنها افتتاحية للفت نظر القارئ إلى أهمية ما تتضمنه من أحكام، فالسورة: أي المنزلة العالية الرفيعة، و(أنزلناها) فيه إسناد إلى ضمير الجلالة الدال على العناية بها

(١) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، دار القلم – الكويت، ط٣، ١٩٨٨م، ص١٥٥.
٢ سورة النور، الآية: ١.

وتشريفها...إلخ. وقد تنفرد السورة بمفردات، أو تراكيب، أو أحكام لم ترد في غيرها من سور القرآن الكريم.

ملامح المنهج المتطلب لطالب ومتعلم تفسير القرآن الكريم:

على من أراد أن يقف على تفسير آيات كتاب الله عز وجل أن يلاحظ الأمور التالية:

أن يطلب المعنى من القرآن: فالآية قد تفسرها آيةٌ أخرى من القرآن الكريم، وما أوجز في آيات قد بسط في آيات أخرى، وما أُجمل في بعضها، بيّن في غيرها، فإن لم يجد فعليه أن يطلب المعنى من السنة النبوية لأنها شارحة للقرآن وهي مليئة بالتفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فان أعياه الطلب رجع إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم فهم أدرى بالتنزيل وظروفه وأسباب نزوله، فإن لم يجد في أقوال الصحابة فلينظر في أقوال التابعين عسى أن يجد في أقوالهم ما يعينه على فهم التفسير.

الوقوف على أسباب النزول وقصة الآيات وموقع الآيات من السورة، فإن لكل سورة من سور القرآن روحاً يسري في آياتها ويسيطر على مبادئها وأحكامها وتوجيهاتها وأسلوبها، يقول الواحدي (ت:٤٦٨ هـ): "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها".

إذ يتم به الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها، قال الشيخ تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد (ت:٧٠٢هـ): " بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"، وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[١].

---

١ انظر:

-السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم – بيروت، (ط/٤، ١٤٠٣هـ، ص١٣.

-عبد الله محمود شحاتة، القرآن والتفسير، مرجع سابق، ص١٤٨.

معرفة الناسخ والمنسوخ من آيات السورة: فالمفسر يفرق من خلال هذا العلم بين الآيات المحكمة من الآيات المنسوخة.

الحذر من الوقوع في الإسرائيليات: هناك العديد من المفسرين ذكروا الإسرائيليات في كتبهم لا لجهل منهم، ولا اعتقاداً بها، ولكن بقصد الاستئناس فقط، أو بقصد الترغيب والتشويق خاصة في موضوع القصص، وذكرها بعضهم لغرض التنبيه على بطلانها.

البعد عن الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والتوقف عن الأحاديث الضعيفة في التفسير:

وهذا نجده في كتب التفسير، ولعلك – عزيزي الدارس أرشدك الله إلى نور الهداية – تسأل هنا لماذا أورد المفسرون في تفاسيرهم مثل هذه الأحاديث...وهنا نقول لك: إن العديد منهم ذكروا الروايات بأسانيدها واكتفوا بذلك، وهم إذ فعلوا ذلك إنما فعلوه لأناس عاشوا في عصرهم كان العلم لغتهم، وقواعد التحديث منهجهم، فكان الواحد منهم إذا نظر في اسناد رواية ما عرف من كان فيها من الوضاعين والضعفاء، فابن جرير – رحمه الله – يشهد بنفسه على بعض الروايات التي يرويها بالضعف حيث يقول بعد رواية أوردها في تفسيره: "فان كان ذلك صحيحاً ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً..."(١).

عدم الاسترسال فيما لا فائدة فيه:

على المفسر أن لا يسترسل في الوقوف على تفاصيل القصص وما لا فائدة فيه، ولا حاجة إلى معرفته كاختلاف أقوال المفسرين في اسم الغلام الذي قتله الخضر – عليه السلام – واسم كلب أصحاب الكهف، واختلافهم في جزء البقرة الذي ضرب به القتيل، فقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة

(١) ابن جرير: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير)، دار الفكر – بيروت ط(١٩٨٤م)، ج١، ص١٥٦.

مختلفة ولا حجة في شيء منها، كما أنه أمر لا يترتب عليه أهمية، قال ابن جرير: "والصواب من القول في تأويل قوله (فقلنا اضربوه ببعضها) [1] أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة من أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب، وغضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها، ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله"[2].

البعد عن غرائب التفسير:

غرائب التفسير تشبه الحديث المنكر أو الغريب، والمراد بها ما قيل في القرآن من الأقوال الغريبة التي لا يحل حمل القرآن عليها ولا يحل ذكرها على سبيل التحذير منها نحو قول من قال(الم): معنى (ألف) ألِفَ الله محمداً فبعثه نبياً، ومعنى (لام) لامه الجاحدون وأنكروه، ومعنى (ميم) مَيمَ الجاحدون المنكرون، من الموْم وهو البرسام، وهو علّة.

ومن ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى (ولكن ليطمئن قلبي)[3]: إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً.

مراعاة التناسب بين فقرات الآية الواحدة، وبين الآيات بعضها مع بعض: وذلك لإظهار الوحدة الموضوعية بين الآيات السابق منها واللاحق مما يوضح أن القرآن تتناسب آياته ويأخذ بعضها بحجز بعض.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

٢ ابن جرير: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن مرجع سابق، ج١، ص١٥٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

البدء بتفسير ما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة، والصرف، والاشتقاق، والمؤاخاة بين المفردات

وإن مما ننصح به طالب العلم أن يقرأ القرآن من المصاحف المفسرة التي تبيّن معاني المفردات، لأن معرفة المعاني تعين على الفهم الذي يوصل إلى تدبر آيات كتاب الله. وعلينا أن نلحظ هنا أن كل لفظة من كتاب الله تعالى لها موقعها الخاص بها بحيث أنك لو حاولت ومن خلال قواميس اللغة أن تجد كلمة بديلة لأخرى من كتاب الله فإنك لن تجد إلا إذا كانت الأخرى قراءة متواترة. ومن الجيد أن يستعين الطالب بكتاب (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، كما أن الواجب أن يلمَّ الطالب بأصل الكلمة وتصاريفها حتى تتفتح قريحته لإدراك المعاني الواسعة المحيطة بالمفردات القرآنية.

ملاحظة الوجه الإعرابي والبلاغي للتراكيب القرآنية، والوقوف على معانيها وعلى الإعجاز البياني للقرآن الكريم: فان القرآن الكريم جاء بنظم أعجز البلغاء والفصحاء، وشهد له الخصوم اللد، حيث شنَّف آذانهم وأنطق ألسنتهم بمدحه من حيث لا يشعرون، غير أن غيهم وعنادهم وكبرهم منعهم من الإيمان به، ويمكن للطالب هنا أن يقف على سرٍّ تميز القرآن الكريم عن سائر نظوم العرب من خلال الرجوع إلى كتب الإعجاز المختلفة، وكتب التفسير التي أظهرت الجانب البياني للقرآن الكريم كتفسير (الكشاف) للزمخشري، وكذلك كتب إعراب القرآن نحو (إعراب القرآن الكريم وبيانه) محيي الدين الدرويش.

مطابقة التفسير للكلام المفسَّر من غير نقص ولا زيادة، وموافقة سياق الآيات: إذ ينبغي للكلام المفسِّر أن يكون موافقاً للمفسَّر بحيث يوضح المعنى الذي جاءت الآيات تقرره، فلا يفترض فيه أن يأتي بمعان جديدة لم تكن مرادة للآيات، ولا أن يكون نافراً عما سيقت الآيات لبيانه والكلام عنه.

تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي: فإنه لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر حمل النص على الحقيقة فيكون المراد هو المعنى المجازي.

الوقوف على التفسير العلمي للآيات إن وجد: ويمكن الوقوف على تفسير الآيات القرآنية بالحقائق العلمية الثابتة وذلك وفق شروط التفسير العلمي للآيات القرآنية.

الجمع بين الأقوال المختلفة: على المفسر أن يتقن الجمع والتنسيق بين الروايات والأقوال المختلفة في التفسير إذا كانت محتملة، وأن يكون يقظاً إذا تعذر الجمع بينها بأن يرجح ويختار ما يناسب النص منها.

استنباط الدروس والعبر: فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وعلى المفسر أن يتدبر آياته ويستخرج ما ترشد إليه الآيات على أن يكون استنباطه مضبوطاً بما سبق ذكره في النقاط السابقة، ومنسجماً مع اللغة والشريعة، وذلك حتى يُنْزِل أحكام الآيات على الواقع المعاصر، فالقرآن بما يُستنبط منه من الفوائد والدروس والعبر والعظات صالح لكل زمان ومكان.

الخاتمة:

هدف البحث التعرف على متطلبات وضوابط مفسري القرآن الكريم، واستخدم المنهج الاستبناطي، وجاء مكوناً من المقدمة، ثم خمسة مباحث وعدة مطالب، جاء المبحث الأول بعنوان: الإطار المفاهيمي لتفسير القرآن الكريم، وتكون من مطلبين، بينما كان المبحث الثاني بعنوان: مناهج وطرق التفسير، وتكون من أربعة مطالب، وجاء المبحث الثالث بعنوان: المهارات والعلوم التي يحتاجها المفسر للقرآن الكريم، وتكون من خمسة مطالب، وجاء المبحث الرابع بعنوان: ضوابط ومتطلبات الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم، وتكون من أربعة مطالب، ثم جاء المبحث الخامس والأخير بعنوان: كيفية الوقوف على تفسير سورة من القرآن مع تطبيق عملي لخطوات التفسير وما ينبغي على المفسر مراعاته في كل منها، وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

- إن علم تفسير القرآن، من أشرف العلوم قدراً، وأسماها منزلة، وأعظمها نفعاً، وإنما يشرف الشيء بشرف موضوعه، ونبل غايته، وتفسير القرآن واجب إيماني، وتكليف شرعي يخدم كتاب الله.
- المفسر الذي يُرْتَجي في هذا العصر ينبغي أن ينتقي من بين أفضل العناصر البشرية، بأن يتصف بصفات معينة تجعله مفسراً على مستوى متميز، كما ينبغي أن يكون مؤهلاً للقيام بمهام التفسير حتى يتمكن من القيام بالأدوار المرتبطة بهذه المهمة السامية، وأن تتوفر لديه الكفاءات والمهارات اللازمة حتى يكون فعالاً في مجال الدعوة مؤثراً في جمهوره بالدرجة التي يحقق معها أهداف اشتغاله بالتفسير.
- يتوقف نجاح المفسر علي ما يتمتع به من كفاءة عالية في مختلف المجالات التي تتطلبها عملية التفسير مع الاستعداد التام لأداء رسالته وتتوقف هذه الكفاءة علي مدى ما يمتلكه المفسر من معلومات وقدرات علمية وثقافية واجتماعية تساعد علي القيام بأعباء التفسير.

- المفسر عليه أن يتحلى بالعلم، وأن يعرف ضوابط عملية التفسير، وأسباب قبولها، وكذلك معرفة حال المتلقي، والمكان والزمان المناسب للتفسير، ولذلك ينبغي عليه أن يستخدم الأدلة والبراهين المقنعة، وألا يَصدمَ من أمامه بتفسيره، بل يستعير لتفسيره خفة البيان والأسلوب الجميل الممتع الذي يجد قبولاً في نفس المتلقي.
- تنوعت عبارات المفسرين وكثرت أقوالهم في بيان حدّ التفسير وتعريفه والذي ظهر منها "أن التفسير علم جليل يفهم به كتاب الله سبحانه المنزل على نبيه محمد صلي الله عليه وسلم.
- تتعدد مناهج وطرق التفسير، ومنها: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وتفسير الفرق الإسلامية، وكتب التفسير الخاصة كالتفسير الإشاري والتفسير الموضوعي والتفسير الفقهي والتفسير اللغوي والتفسير الباطني، وكل منهج أو طريقة له ما له وعليه وما عليه.
- تتعدد المهارات المتطلبة لتعليم التفسير العلمي للقرآن الكريم، ومنها: مهارات التدريس الفردي، مهارات التدريس التكاملي، مهارات التدريس التعاوني، مهارات الربط بين الحقائق الكونية والمسلمات الشرعية.
- تتنوع الأصول التي يرجع إليها في تفسير القرآن الكريم، ومنها ما يلي: كلام الله تعالى، كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلام الصحابة رضي الله عنهم، كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق.
- تتعدد العلوم التي يحتاج إليها المفسر للقرآن الكريم وتعينه على الفهم السليم له، ومن هذه العلوم ما يلي: اللغة و الاشتقاق، النحو والصرف، الأدب وعلوم البلاغة، علوم القرآن، علوم أصول الدين والتوحيد، علم أصول الفقه، الحديث النبوي والسيرة، علوم أخرى: كالعلوم الاجتماعية والعقلية و الكونية وما يتصل بالثقافة العامة، فالتاريخ والجغرافيا

والاجتماع ولعم النفس والفلك... كل هذه العوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيراً يتصل بحياة الناس.

- توجد مجموعة من الضوابط لتدريب المفسرين منها: الأخذ بالأصول الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح عند إعداد مقررات ومناهج تدريب المفسرين، أن يشمل التدريب مجالات التدريب كافة، التي يحتاجها المفسر لكتاب الله من حيث الوسائل والأساليب، ومن حيث الجانب العلمي والإيماني والسلوكي والأخلاقي، وضع نظام متقن لانتقاء واعتماد المفسرين الجدد، إيجاد الحافز المستمر للتعلم لدى المفسرين إلى الله، التدريب بدون تخطيط يعد هدراً للموارد لذا لا بد من التخطيط الجيد والمدروس لعملية التدريب وفق الواقع والإمكانات والاحتياجات المتطلبة.
- تتنوع ضوابط الاجتهاد في كتاب الله تعالى ومنها: العلم بالقرآن الكريم، العلم بالسنة النبوية، العلم باللغة العربية، معرفة أصول الفقه بالإضافة لبعض العلوم الأخرى المساعدة للمفسر لكتاب الله تعالى في إتقان تفسيره.
- عند تفسير سورة من كتاب الله تعالى لا بد على المفسر أن يراعي ما يلي: اسم السورة، ملاحظة الجو الذي نزلت فيه السورة، تحديد كون السورة مكية أو مدنية، مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، محور السورة وموضوعها، الاهتمام بما انفردت به السورة وتميزت به عن غيرها.
- تتمثل ملامح المنهج المتطلب لطالب ومتعلم تفسير القرآن الكريم فيما يلي: معرفة الناسخ والمنسوخ من آيات السورة، الحذر من الوقوع في الإسرائيليات، البعد عن الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والتوقف عن الأحاديث الضعيفة في التفسير، عدم الاسترسال فيما لا فائدة فيه، البعد عن غرائب التفسير، مراعاة التناسب بين فقرات الآية الواحدة، وبين الآيات بعضها مع بعض، البدء بتفسير ما يتعلق بالألفاظ المفردة من

اللغة، والصرف، والاشتقاق، والمؤاخاة بين المفردات، ملاحظة الوجه الإعرابي والبلاغي للتراكيب القرآنية، والوقوف على معانيها وعلى الإعجاز البياني للقرآن الكريم، مطابقة التفسير للكلام المفسَّر من غير نقص ولا زيادة، وموافقة سياق الآيات، تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي، الوقوف على التفسير العلمي للآيات إن وجد، الجمع بين الأقوال المختلفة، استنباط الدروس والعبر.

ثالثاً :
الحديث وعلومه